لجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

البنية الزمنية في رواية مذكرات آخر إنسان على الأرض

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبتان:

رجاعي فضيلة

رباعي زوبيدة

إشراف الأستاذة:

لعمري آسيا .

السنة الجامعية:2014-2015 .

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى التّي سهرت من أجلي ورعتني برحمة قلبها وعطف حنانها أمي العزيزة الغالية أطال الله في عمرها.

إلى الذي تعب كثيرا من اجل وصولي إلى ما هو أنا عليه اليوم قرّة عيني أبي العزيز أطال الله في عمره.

إلى شموع ونور البيت: إخواني الأعزاء(فرحات، محي الدّين، ويوسف).

إلى أخواتي العزيزات(كهينة، سعاد، حبيبة).

إلى خطيبي"توفيق" الذي لطالما شجعني.

إلى كلّ صديقاتي، و كلّ من أحبني وساعدني وكلّ من ذكره قلبي ونسيه قلمي.

فضيلة

كلمـــــة شكـــــــــر

نشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه وإعانته لنا في انجاز هذا العمل المتواضع، كما نتقدّم بالشكر الجزيل إلى كلّ من قدّم لنا يد العون من اجل انجاز بحثنا، ونحن نرى لزاما علينا أن نتقدّم بفائق التقدير وجزيل الشكر إلى أستاذتنا المشرّفة. " لعمري آسيا" التّي لم تتردّد من فتح أبواب معرفتها أمامنا والتّي لطالما رفعت من معنوياتنا.

كما يسعدنا أيضا أن نتقدّم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل والروائي الجزائري" بوعلام بطاطاش" الذي استطاع فعلا أن يزيد من ثراء المكتبة الجزائرية بهذه الرواية القيّمة، فعلا هي من أروع ما كتب بالقلم الجزائري، حيث استطاعت أن تضمن نفسها في الساحة الروائية الجزائرية المعاصرة.

فشكرا جزيلا لك أستاذنا المحترم.

وكذا لا ننسى أن نشكر كلّ أساتذة اللغة العربية وآدابها وكلّ من يعمل من أجل العلم والمعرفة، ومن دون أن ننسى أيضا كلّ طلبة قسم الأدب العربي جميع التخصصات نظام ل- م- د.

مقدمة

مقدمـة

تعتبر الرواية جزءا من ثقافة المجتمع، وجسما مركبا من اللغات والملفوظات، والروائي هو منظم كلّ ذلك، وهي أيضا ملتقى الأزمنة في حواريتها وتقاطعاتها (الحاضر، الماضي، المستقبل)، وبالتالي فغنّ الميزة الجوهرية للعمل الروائي هي التقايس والتفاعل في الزمن، بل إنّ المهم هو رؤية وتفكير العالم من خلال المضامين وتزامنها والنّظر إلى علاقاتها من زاوية زمنية واحدة.

وليس غريبا أن يشغل الروائيون أنفسهم، لا روائيون اليوم فحسب بل في جميع الفترات بمختلف وجوه الزمن طالما أنّ معظم أعراف القصة وأساليبها مشدودة إليها بإحكام، ولابد لكلّ كاتب جيّد أن يوضح في وقت ما آراءه حول القضايا المركزية لحرفته مثل التشويق وسرعة الحركة والاستمرار، ويجب أن يحدّد موقفه من تشكيل الحبكة والبناء بصورة عامة، ولهذا يطلّب التفكير المتأني حول السببية والتعاقب والاختيار ووجهة النّظر، كما يجب له أن يقيم وان يتأمّل العلاقة التّي سبقتهما بين الحدث الأخير الذي ينهي به أحد خطوط العمل وخاتمة الرواية كلّها، وبين تأزم الحبكة الذي يؤدي إلى الذروة والحلّ. وعليه أن يعزز أفضل الطرق لبناء كلّ متكامل في الأجزاء المتلاحقة التّي يفرضها عليه التعاقب، ولأنّ الزمن الروائي ليس زمن موضوعيا ذلك الذي يقاس بالساعة بل هو زمن شعوري داخلي وبذلك فغنّ الماضي يتقاطع مع الحاضر.

ومن أسباب اهتمامنا بتحليل الزمن يعود إلى أنّه عنصر محوري وعليه تترتب عناصر التشويق والإيقاع والاستمرار وإلى أنّه يمثّل إلى حدّ بعيد طبيعة الرواية وشكلها، وليس للزمن وجود مستقل نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الراوية.

والإشكالية التّي تصادفنا في هذا الموضوع هو كيفية بناء الزمن الروائي لدى الروائي الجزائري" بوعلام بطاطاش " في روايته " **مذكرات آخر إنسان على الأرض**" حيث جاءت هذه الأخيرة معبّرة عن المعاناة التّي يعيشها آخر جيل على الأرض فيصوّر حياتهم الاجتماعية وصمودهم أمام قساوة الطبيعة وفيها يبرز الروائي سخطه الكبير على الأجيال السالفة التي قمعت وحطمت الطبيعة واستنزفت ثرواتها دون أن تصل إلى تحقيق السعادة لنفسها ولا لغيرها.

وللإجابة على هذه الإشكالية توجب علينا تحليل الرواية من وجهة نظر **المنهج البنيوي** الذي يتسع لشرح وتفسير جميع الظواهر والتقنيات التّي تصادفنا ونحن في صدد القراءة والتفكيك والتحليل، فهو المنهج الأجدر لمساعدتنا للوقوف على طبيعة البناء الروائي لعنصر الزمن.

وقد دفعتنا جملة من الأسباب إلى اختيار هذه المدوّنة كموضوع لدراستنا منها: "إعجابنا الكبير بنصها، كونها رسالة إنسانية للقرّاء وأنّها تحمل قيم أخلاقية...الخ.

ونقول أنّ الزمن لا ينفصل عن باقي العناصر الروائية الأخرى، ومع ذلك فإنّنا سنفرد له في هذا العمل لنرى اللعبة السردية المستخدمة في رواية" مذكرات آخر إنسان على الأرض" لبوعلام بطاطاش"، ومن اجل ذلك قمنا بتقسيم هذا العمل إلى فصلين نظري وتطبيقي، حيث تناولنا في الأوّل ماهية الزمن وحاولنا فيه تحديد أهم المفاهيم المتعلقة بالزمن وأنواعه مع بداية الدراسة الفعلية لهذا الركن الأساسي في الرواية، أمّا الفصل الثاني فقد خصصناه لدراسة التقنيات الزمنية المستعملة في رواية" آخر إنسان على الأرض".

أمّا عن الصعوبات التّي اعترضت سبيلنا كباحثين، فنقول أنّ عملنا هذا كان عملا لم يكن الطريق فيه مفروشا بالأزهار لا بل عاينينا كثيرا في البحث عن المصادر والمراجع التّي تجعل من هذا البحث كاملا والتّي سوف نستعرضها في فهرست المراجع والمصادر

ولا يفوتنا في الأخير أن نشكر كلّ من أعاننا على انجاز هذا البحث المتواضع ونخص بالذكر أستاذتنا الكريمة" لعمري آسيا" التّي لم تبخل بأيّ نوع من العون والإرشاد والنصح، ونأمل في الأخير أن تكون هذه الدراسة عونا إضافيا لطلاب اللغة والأدب العربي في الجزائر.

مدخل

مدخـــــــل:

إذا كان الفن هو تشويش للواقع وتدنيس له والرواية أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالواقع، فهي تعمل على تشويش عناصر الواقع، بما في ذلك الفضاء والشخصية وتفاعل الأحداث الاجتماعية والتاريخية– ناهيك عن الزمن الذي يعدّ أهم عناصر جماليات النّص الروائي– سعيا منها إلى بلوغ مستوى عال من الشعرية. ولذلك لا يمكننا إقرار الواقعي من الزمن على التخيلي، لأنّ الزمن أكثر العناصر السردية قابلية للتشويش والتدنيس لأنّه يحمل في ذاته هذه الخصوصية، لذا فإن المرجعية الزمنية الروائية مهما كانت واقعية، فإنّ مصير هذه الواقعية تؤول في النّهاية إلى التخيلي والوهمي.

ودراسة الزمن تتعرّض إلى احد المفاهيم الفلسفية والأدبية الشائكة بسبب زئبقية ملمستها نظريا وإجرائيا، ألا وهو الزمن في نظرة الفلاسفة إليه عبر مراحل تطوره، واختلاف مفاهيمه بالإضافة إلى تناول هذا المفهوم من وجهة نظر أدبية بعامة وسردية روائية بخاصة. والكيفيات التّي تطرّق إليه الكثير من النّقاد والأدباء بنائيا وجماليا، وقد تناولت هذه المقولة" البسيطة المعقدة" على حدّ تعبير القديس "أوغسطين" الذي حاول تبسيطها وتفسيرها بقوله:" نحن أتون من ماض لم يعد، وسائرون إلى مستقبل لم يكن بعد وليس لنا إلاّ حاضر زائل دائما لا نستطيع الإمساك به، أو الإبقاء عليه، لذلك فلسنا نملك بشأن الزمان أيّ شيء

حقيقي"...[1]. فالزمن ذو طبيعة متحرّكة غير ثابتة وهذه الطبيعة المتحرّكة هي التّي جعلته يتحدّ بالوجود ثم العدم وبالحضور ثمّ الفناء.

ومناقشة مفهوم الزمن من النّاحية الفلسفية والفكرية، لا يقودنا بالضرورة إلى معالجة البحث الجمالي في الفن الروائي من منظور فلسفي، ولكن هذا لا يمنعنا من الاتكاء على هذا المفهوم كما اقتضت الضرورة ذلك، لأنّ الإنسان– الكاتب– في الحياة ازداد إحساسه ووعيه بالزمن كما يؤثّر ذلك في حياته الأدبية الفكرية، فالزمن كامن في وعي الإنسان غير أنّ كمونه في وعي المبدع أعمق مدى[2].

ويجب على القارئ عند تعامله مع الزمن فنيا محاولة خلق انسجام بين القطع المتناثرة هنا وهناك مهما كان حجم هذه القطع، لأنّ الروائي يمتلك خلفية مهمّة حول البنية الزمنية استرجاعا واستباقا، وفيما يخص العالم التخيلي الذي يريد انجازه.

وهذا يعني بالنسبة للفن الروائي تلك القدرة اللامحدودة لدى الكاتب على اتخاذ موقع متغيّر بالاستمرار داخل النّص الذي يقوم بتشييده ولكن هذه القدرة تبقى على اتساعها نسبية

---

[1] – ينظر:
اعترافات القدّيس أوغسطين:" ترجمة ألخوري بوجنا، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1962، ص.246.

[2] – ينظر:
رابح الأطرش: مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، مارس، 2006.

ومتفاوتة من كاتب إلى آخر، ممّا يضع أمام الباحث مهام مضاعفة، لأنّه سيصبح من الممكن لديه توظيف جهاز موحّد لمقاربة ظاهرة الزمن السردي في النّصوص الروائية[1].

[1] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي،(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص.131.

الفصل الأوّل:

ماهية الزمن: أنواعه وأهميــته.

1- مفـــــــهوم الزمن:

أ/ الزمن في التعريف اللغوي.

ب/ الزمن في التعريف الاصطلاحي.

2- الزمـــــن في القرآن الكريم:

3- الزمـــــــن عند النقاد والدارسين:

أ/ مفهوم الزمن عند الدّارسين العرب

ب/ مفهوم الزمن عند الدّارسين الغرب

4- أنـــــــــــواع الزمن:

أ- الزمن الفلسفي.

ب- الزمن التاريخي.

ج- الزمن الذاتي(النّفسي)

5-الزمـــــــن في ألدراسات البنيوية. 6- مستويات البنية الزمنية.

1- مفهوم الزمن:

يعتبر الزمن مقولة فلسفية شغلت الإنسان منذ بدء الخلقية لارتباطها به أشد الارتباط، إذ شكّلت تساؤلاته وحيرته، فكانت دهشته الأولى والأزلية، فهي مقولة بسيطة عندما نحياها دون الالتفات غليها ومعقّدة عندما نقترب منها ونحاول التعرّف إليها وتناولها بالدّراسة والبحث[1].

أ/ الزمن في التعريف اللغوي:

إنّ مفهوم " الزمن" وحده لم يكن بالشيء الهيّن لدى الفكر الإنساني بصفة عامة، حيث تناثرت حوله الرؤى وتباينت المواقف في مختلف الميادين العلمية، لذا، تصبح عملية تعريفه وتحديد معالمه بدقة، عملية لا تخلو من المبالغة والتّهويل، بينما كلّ ما يمكن التطرق إليه هو محاولة الإحاطة ببعض خصوصياته حسب ما أشارت إليه بعض المؤلفات[2].

---

[1] – أنظر:

رابح الأطرش: مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية.

[2] – د/ بشير بويجرة محمّد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، دار الغرب للنّشر والتوزيع، الجزء الأول، 2002، ص.04.

وأوّل هذه المؤلفات في تراثنا العربي اللغوي" لسان العرب" الذي يذكر في "مادة الزمن" بأنّه اسم لقليل الوقت وكثيره، والزمن والزمان العصر والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وزمن زامن شديد، وأزمن الشيء طال عليه الزمان والاسم من ذكر الزمن والزمنة.

وأزمن بالمكان أقام به زمانا، والزمنة البرهة، ولقيته ذات الزمين، أي في ساعة لها أعداد، يريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال: لقيته ذات العويم أي بين الأعوام[1].

ثمّ يأتي " بطرس البستاني" ويجد في التفريق بين "الزمن" و"الدهر" قائلا:" إذا كان الزمان يطلق على العصر وعلى قليل وكثيره، فإنّ الدهر يعبّر عن المدّة الكثيرة فقط.

أمّا "أبو التهامية" فيرى أنّ الزمان هو الوقت طويلا كان أو قصيرا، حيث قال:" وإنّك يا زمان لذو ظروف أو إنّك يا زمان لذو انقلاب" وأزمن السنة فصولها.

وهناك من ربط مفهوم الزمن" بالنقص الحادث في الماء الذي يملأ الخزّان، أو بالنقص في كميّة الرّمل كما في الساعة الزجاجية".

ولا يمكن أن نحس بالمعدّل الذي يتغيّر به الزمن في إحساساتنا، حيث إن النّاس الذين يقضون أوقاتا طويلة في الكهوف أو في غرف مغلقة يفقدون الإحساس السليم بالتغيرات الزمنية، أو يفقدون الحس الزمني[2].

---

[1] – ابن منظور: " لسان العرب"، دار الكتب العلمية، الجزء الأوّل، باب الزاي، بيروت، ص.554.

[2]– د/ بشير بويجرة محمّد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ص.04.

كما أنّ الزمن يدرك بمدى تزامن الأوقات، اليوم، الأسبوع... فالزمن يزامن مزامنة: أي عامله بالزمن بعد تحديده مثلا" زامنه أسبوعيا"، أزمن يزمن إزمانا: الشيء طال عليه" أزمن به المرض".

تزامن يتزامن تزامنا: الشيئان اتفقا في الزمان" تزامن وصول الطائرتين"[1].

يتبين لنا من خلال التعريفات السابقة أنّ مفهوم الزمن يختلف من دارس لآخر ومن مفكّر لآخر، فهو مفهوم غير محدّد وغير مستقر.

ب/ الزمن في التعريف الاصطلاحي:

تمهيد:

يتمثّل الوجه الثاني لمفهوم الزمن في التعريف الاصطلاحي حيث نجده عند بعض الفلاسفة والمفكرين والأدباء، على الخصوص، وهو كثير ومتنوّع[2].

ارتبط مفهوم الزمن بمجالات متعدّدة وتعدّدت دلالاته بتعدّد الحقول الفكرية والنّظرية التّي ارتبطت به، وقد يستعيد مجال معرفي ما بعض فرضيات أو نتائج مجال آخر، فيوظفها مانحا إيّاها خصوصية تساير نظامه الفكري[1].

---

[1] – علي بن هادية وتلحسن البليش: القاموس الجرير للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ص.431.

[2] – د/ بشير بويجرة محمّد: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، دار الغرب للنّشر والتوزيع، الجزء الأوّل، طبعة 200– 2002، ص.05.

ويرى سعيد يقطين أنّ للزمن أهمية في الحكي فهو يعمّق الإحساس بالحدث وبالشخصيات، لدى المتلقي[2].

أمّا الزمن حسب عبد المالك مرتاض مظهر وهمي يُزَمْنِنُ الأحياء والأشياء فتتأثّر بمضيه الوهمي، غير المرئي وغير المحسوس.

كما يضيف مرتا ض انّ الزمن كالأكسجين يعايشنا في كلّ لحظة من حياتنا، وفي كلّ مكان من حركاتنا غير أنّنا لا نحس به، ولا نستطيع أن نراه ولا نلمسه، ولا أن نسمع حركته الوهمية، ولا أن نشم رائحته، وإنّما نتوهّم أو نتحقق أنّنا نراها في غيرنا مجسّدا: فيشيب الإنسان، وتجاعيد وجهه، وفي سقوط شعره، وتساقط أسنانه، وفي تقوّس ظهره، واتّباس جلده...فالزمن إذن مظهر نفسي لا مادي، ومجرّد لا محسوس، ويتجسّد الوعي به من خلال ما يتسلّط عليه تأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهره في حدّ ذاته، فهو وعي خفي لكنّه متسلّط ومجرّد يتمظهر في الأشياء المجسّدة[3].

---

[1] – سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنّشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت، 19997، ص.61.

[2] – محمّد بوعزة: تحليل النّص السردي،(تقنيات ومفاهيم)، الدار العربية للعلوم، ناشرون، الطبعة الأولى، الرباط، 20010، ص.87.

[3] – أنظر:

عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة، الطبعة الأولى، الكويت، 1987، ص ص.172-173.

وينطبق الزمن الاصطلاحي حسب نيوتن على ما سماه " بالزمن النسبي الظاهري العام"، ويستخدم لمناسبة الدنيوية، وهو يهيئ مقياسا خارجيا للمدّة بواسطة الحركة، ويستعمل بصورة عامة من الزمن الحقيقي كالساعة واليوم والشهر والسنة، ويقارن عادة بالزمن السيكولوجي أو الزمن الحسي، فزمن الساعة لا معنى له للخيال، وإنّما هو عرف كيفي متكلّف جدّا وضع لضرورة اجتماعية بغية تنظيم وتنسيق الأفعال التّي تمس أكثر من شخص واحد.

وهناك من شبّه الزمن الاصطلاحي بقطعة بيضاء من الورق سطرت بخطوط على مسافات متساوية نستطيع أن نكتب عليها تتابع إدراكنا الحسي[1].

كما قد ألمح " هنري جيمس" أكثر من مرة أنّ الزمن بوجوهه المختلفة عامل تكييف رئيسي في تقنية الرواية[2].

أمّا "**جيرار جنيت**" فقد ميّز بين زمنين" زمن الشيء الذي يحكي أو زمن القصة، وزمن الرواية وهو الزمن الذي يظهر في النّص، أو بعبارة أخرى يقول جنيت أنّ هناك زمنين: زمن المدلول، وهو زمن القصة، و زمن الدال أو الرواية، أو النّص أو الخطاب الروائي[3].

---

[1] – أ.أ مندولاو: الزمن والرّواية، ترجمة بكر عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، 1997، ص،ص.76-77.

[2] – نفس المرجع، ص.23.

[3] – السّيد إبراهيم: نظرية الراوية، دار قباء، القاهرة، 1998، ص.107.

وبالنسبة إليه أيضا فلكي ندرس الترتيب الزمني في النّص الروائي لابدّ أن نقارن الأجزاء الزمنية التّي يتكوّن منها الخطاب الروائي أو النّظام الذي رتّب عليه الأحداث نفسها أو الأجزاء الزمنية التّي تتكوّن منها القصة[1].

وهناك من اعتبر الزمن هو الكيان الانسيابي الذي عرّفه الإنسان من خلال توظيفات متعدّدة ومتباينة، تحوّلت وتطوّرت من خلال تعريف الزمن بأنّه" شيء اقل جزء يحتوي على جميع المدركات"[(2)].

من كلّ هذه التعريفات يتضح لنا أنّ صعوبة إيجاد معنى موحّد للزمن حيث حظي بالاهتمام الأكبر ولا يزال كذلك في مختلف المجالات حيث استقطب مختلف الاتجاهات الفكرية والفلسفية عبر العصور، فهو أهم الباحثين الرئيسية المكونة للخطاب الروائي.

2- الزمن في القرآن الكريم:

أعطى القرآن الكريم أهمية بالغة للزمن، فقد ارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محدّدة كالصلاة والصيام والحج، بحيث أنّ أداءها لا يتحقق إلاّ عن طريق الالتزام بأوقاتها حسب اليوم والشهر والسنة، وقد وردت في القرآن الكريم عدّة

---

[1] – نفس المرجع، ص.108.

[2] – هيثم الحاج علي: الزمن النّوعي وإشكاليات النّوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2008، ص.17.

آيات يقسم فيها الله تعالى بالزمن ومكوناته، الأمر الذي يشير إلى الأهمية الكبيرة التّي أولاها الله تعالى للزمن ولأجزائه.

ويتجلى ذلك في قول الله عزّ وجلّ في الآية 78 من سورة الإسراء:" **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق اللّيل وقرآن الفجر، إنّ قرآن الفجر كان مشهود**"[1].

وقوله تعالى:" **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للنّاس والحج**"[2].

كما أنّ هناك العديد من الأحكام الشرعية التّي ارتبطت بالمدّة الزمنية، كعدّة المرأة في حالة الطلاق، ووفاة الزوج والكفارات في حالة ترك الصيام وغير ذلك من الأحكام الشرعية التّي فرض فيها الله سبحانه وتعالى التقيّد بالحساب الزمني كشرط في العبادة وصحة انجاز العمل.

إلى جانب الآية 86 من سورة التوبة بحيث أولى الله تعالى أهمية بالغة للزمن ويتجلى ذلك في قوله:" إنّ عدّة الشهور عند الله تعالى اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرّم ذلك الدّين القيّم فلا تظلموا فيهن أنفسكم. قاتلوا المشركين كما يقاتلوكم كافة واعلموا أنّ الله مع المتقين"[3].

---

[1] – سورة الإسراء، الآية 78.

[2] – سورة البقرة، الآية 185.

[3] – سورة التوبة، الآية 86.

وإذا تحولنا عن المضامين العبادية للوقت، وارتباط عناصر الزمن بالتشريعات الإسلامية فغنّنا نلتقي مع تأكيدات كثيرة على أهمية الوقت، وذلك من خلال ما أبرزه القرآن الكريم في العديد من الآيات، حيث جعل الوقت يأخذ دلالات متعدّدة كقداسة والموعظة والنعمة والتجربة وغيرها من الأفكار.

أقسم الله سبحانه وتعالى بعناصر الزمن وكرّره في مواضيع عديدة بحيث أشار إلى الأهمية التّي أولاها الله له من أجل أن يقف الإنسان المسلم على هذه الحقيقة، ويتجلى ذلك في قوله تعالى:

" **والعصر إنّ الإنسان لفي خسر**"[1].

" **والضحى واللّيل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى**"[2].

وللزمن دلالة فلسفية مسيطرة بحيث أصبح هو الإطار الذي لا يمكن للإنسان أن يتحداه ونخترق قوانينه، إذ لا يمكن للبشر التأثير على حركته والتحكّم في وجانه، إنّما هو يمضي حسب القانون الكوفي الذي وصفه الله، وبذلك سيطرت الوحدات الزمنية على الأشياء والكائنات فأصبح للزمن أهمية لا حدود لها في كلّ جوانب الحية، فالإنسان لا يمتلك وقتا فائضا ليضيّعه، ما دام عصره مرتبط بفترة زمنية محدّدة، فلا يجب أن يمرّ يوم دون أن يستثمره في نشاط إيجابي يقدّم فيه الخير لنفسه ومجتمعه.

---

[1] – سورة العصر، الآية 2.

[2] – سورة الضحى، من الآية 1 إلى الآية 3.

عمق المنهج الإسلامي الفريد الإحساس بالمسؤولية، وزرع في النّفس الشعور بقيمة الوقت، واستثمار كلّ وحدة من وحدات الزمن التّي تمرّ سريعة في حياة الإنسان.

وما أجمل ما قرأت عن قيمة الوقت لمالك بن نبي في كتابه " شروط النّهضة"، حيث اعتبر الوقت من العناصر الأساسية في بناء الحضارة، إضافة إلى عنصري الإنسان والتراب فيقول:

" الزمن نهر قديم يعبّر عن العالم منذ الأزل ولكنّه صامت، وتنسى الحضارات في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التّي لا تعوّض، ومع ذلك ففي ساعات الخطر في التاريخ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء إذا استيقظت، ففي هذه الساعات التّي تحدث فيها انتفاضات الشعوب لا يقوم الوقت بالمال كما ينبغي عنه معنى العدم، فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهما.

فنحن بحاجة ملحة إلى توقيت دقيقة وخطوات واسعة لكي نعوض من الأربع والعشرين التّي تمرّ على أرضنا يوميا.."، وقال أيضا:" إنّ الوقت الزاحف صوب التاريخ لا يجب أن يضيع هباء، ولاشك أنّ التربية هي الوسيلة الضرورية لتعلّم الشعب العربي الإسلامي قيمة هذا الأمر.

نكتشف بوضوح ممّا تقدّم أنّ القرآن الكريم أعطى للوقت أهمية كبيرة، وعالج حقيقة الزمن من أبعاده المختلفة تلتقي كلّها في قاسم مشترك واحد هو دور أثر الزمن في حياة

الإنسان، فكلّ شيء في الكون مرتبط بالزمن وحتّى في خلق الله سبحانه وتعالى لدنيا ربطه بالزمن.

3- مفهوم الزمن عند النّقاد والدارسين:

أ- مفهوم الزمن عند الدارسين العرب:

لقد استحوذ عنصر الزمن على الاهتمام الأكبر عند النّقاد والدّارسين العرب القدامى منهم والمحدثين، وذلك لكون الزمن أثر العناصر وضوحا في النّص السردي، وتعدّدت آرائهم ونظرياتهم حول هذا الموضوع، وسنعرض الآن بعضا منها:

1/ عبد المالك مرتاض:

يرى عبد المالك مرتاض أنّ الزمن خيط وهمي مسيطر على كلّ التصرفات والأنشطة والأفكار، فإذا لكلّ هيئة من العلماء مفهومها للزمن خاص بها، وقف عليها، ممّا جعل علماء النّحو العرب حيث تابعوا دلالة اللّغة على الحدث والفعل والحركة، يلاحظون أنّ الزمن لا ينبغي له أن يجاوز ثلاثة امتدادات كبرى، الامتداد الأوّل ينصرف إلى الماضين والثاني يتمخض للحاضر، والثالث يتصل بالمستقبل، وربما كان الحاضر أضيق الامتدادات وأشدها انحصارا بحكم قوّة الأشياء إذ كان الحاضر مجرد فترة انتقالية تربط بين مرحلتين اثنتين لا حدود لهما هما الماضي والمستقبل[1].

---

[1] – عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص.174.

ويتداخل الزمن، ويتغيّر بالتقدّم والتأخر عبر المسار السرد، ولعله في كلّ حال يترك فيها موقعه وتتغيّر دلالته الحقيقية، كالماضي الذي يذر موقعه للمستقبل، والحاضر الذي يدع مكانه للماضين والمستقبل الذي قد يتقدّم فيتصدّر الحدث حالا محل الماضي، وفيما يلي ضرب من تمثلنا لتبادل مواقع الزمن لعلّ الرموز أن تمثله[نرمز للماضي بـ(أ) وللحاضر بـ (ب) وللمستقبل ب (ج)]:

1/ أ- ب- ج.

2/ ب- ج- أ.

3/ ج- أ- ب. [1].

2- حميد لحميداني:

يرى حميد لحميداني أنّه ليس من الضروري أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما، أو في قصة ما، مع الترتيب الطبيعي لأحداثها، فحتّى بالنسبة للروايات التّي تحترم هذا الترتيب، فإنّ الوقائع التّي تحدث في زمن واحد لابد أن ترتب في البناء الروائي تتابعيا، لأنّ طبيعة الكتابة تفرض ذلك، ما دام الروائي لا يستطيع أبدا أن يروي عددا من الوقائع في آن واحد.

[1] - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص.189.

وهكذا فإن التطابق بين زمن السرد وزمن القصة المسرودة لا يكاد يوجد إلا في حالة ما إذا وجد في الحكايات العجيبة القصيرة التّي تكون أحداثها متتابعة وليست متداخلة.

وهكذا فبإمكاننا دائما أن نميّز بين زمنين في كلّ رواية ألا وهما:

زمن السرد، وزمن القصة، حيث يخضع زمن القصة بالضرورة للتابع المنطقي للأحداث بينما لا يتقيّد زمن السرد لهذا التتابع المنطقي.

ويمكن هنا التميّز بين الزمنين على الشكل التالي:

لو افترضنا أنّ قصة ما تحتوي على مراحل حديثة متتابعة منطقيا على الشكل التالي:

أ ← ب ← ج ← د.

فإن سرد هذه الأحداث في رواية ما يمكن آن يتخذ مثلا هذا الشكل:

ج ← د ← ب ← أ.

وهكذا يحدث ما يسمى " مفارقة زمن السرد مع زمن القصة".[1]

3- تمّام حسّان:

---

[1] - حميد لحميداني: بنية النّص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنّشر، الطبعة1، بيروت، 1991، ص.73.

لقد ذهب تمّام حسّان في كتابه" اللغة العربية معناها ومبناها" إلى التمييز بين الزمن الصرفي وهو الذي يظهر من خلال الصيغة والذي لا يدل على الزمن، والزمن النحوي الذي يتجلى لنا فيه زمنية الفعل من خلال السياق،وبذلك تتساوى هذه الصيغ، والذي يُزمِّنها هو موقعها في السياق. وبعد تقسيمه الجملة العربية إلى خبرية وإنشائية ويبيّن كلّ ما يدخل في كلّ واحدة منها في إثبات ونفي وتأكيد من جهة وطلب شرط وإفصاح، يشرع في دراسة الزمن في كلّ هذه الجمل من خلال جداول يبيّن فيها الزمن والجهة والصيغتين: فعل ويفعل. وبصدد الجملة الخبرية المثبتة في اللغة العربية يلاحظ:" الاختلاف بين زمن وزمن هنا هو في الواقع اختلاف في الجهة في الماضي والحال والاستقبال، فهناك تسع جهات مختلفة للماضي، وثلاث للحال وأربع للاستقبال وبذلك يكون زمن الجملة هنا يقع في ست عشرة صورة يدل" فعل" فيها على مضيه دائما ويدل" يفعل" فيها على الحال أو الاستقبال دائما بحسب القرينة أو الصميمة"ويفعل الشيء ذاته في بقية أنواع الجمل[1].

4- سعيد يقطين:

لقد انطلق سعيد يقطين في تقسيمه للزمن الروائي إلى ثلاثة أقسام وهي: زمن القصة، وزمن الخطاب، وزمن النّص.

[1] – سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص.85.

فالزمن الأوّل أيّ زمن القصة هو الزمن وقعت فيه الأحداث وهو دائما يحدّد بنقطة يبدأ منها، تقابلها نقطة ينتمي غليها" وهو مادة حكائية ذات بداية ونهاية، كما تجري في زمن سواء كان هذا الزمن مسجلا، أو غير مسجّل كرونولوجيا أو تاريخيا.

أما زمن الخطاب، فهو زمن تزمين الزمن الأوّل أيّ(زمن القصة) أي انّه زمن السرد، في تعامله مع التمفصلات الزمنية الصغرى والكبرى بكلّ جزيئاتها المختلفة، وفق منظور خطاب متميّز يفرضه النّوع ودو الكاتب في عملية تخطيب الزمن، إيّ إعطاء زمن القصة بعدا متميّزا وخاصا.

أما زمن النص فيبدو لنا في كونه مرتبا بزمن القراءة، في علاقة ذلك بتزمين زمن الخطاب في النّص، أيّ بإنتاجية النّص في محيطه سوسيو لساني معين[1].

يتبّن لنا من خلال هذه المفاهيم التّي قدّمها النّقاد والدّارسون العرب أنّ مصطلح الزمن اتخذ تعاريف ومفاهيم اختلفت من ناقد لآخر فهو موضوع له مدلولات مختلفة، فهذا التفاوت في توحيد مختلفة، فهذا التفاوت في توحيد واتخاذ مفهوم شامل لزمن إذا دلّ على شيء إنّما يدل على الأهمية الكبيرة التّي لعبها الزمن في حياة البشرية عبر العصور.

ب/ مفهوم الزمن عند الدارسين الغرب:

إنّ الزمن يستحيل أن نحاصره ونضعه في قالب رغم انّه يتخلّل كلّ مظاهر الحياة فقد اتخذ مفهوم الزمن دلالات كثيرة.... لنعته حقول كثيرة في مختلف المجالات المعرفية،

[1] – سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص.85.

حيث استقطب منذ البداية اهتمام المفكرين والنّقاد والفلاسفة وكان ذلك في منظورات متعدّدة طبيعية، تاريخية، نفسية، لغوية...لذلك أثار البحث في موضوعات الزمن تساؤلات وإشكالات في غاية التعقيد والتضارب.

ولكي نتمكّن من صياغة مفهوم الزمن الروائي يساعدنا كثيرا للمرور ببعض الآراء الغربية التّي تبحث في هذا المجال.

1/ الزمن عند أرسطو: هو" مقدار حركة الفلك الأعظم"، وهو مدّة تعدها الحركة، غير ثابتة الأجزاء، وهو مقدار الحركة من جهة المتقدّم والمتأخر، والمدّة عند بعض الفلاسفة، الزمان المطلق الذي لا تعده حركة وعند أكثرهم أنّه لا توجد مدّة خالية عن حركة إلاّ بالوهم[1].

عمد أرسطو إلى ربط الحركة بالزمان لمزج الزمان والحركة والتغيّر حيث نفهم من خلال هذا كلّه لانّ أرسطو ربط الزمان بالحركة[2].

2/ سانت أوغسطين:

[1] – مصطفى لبيب عبد الغني: نصوص واصطلاحات فلسفية عربية، دار الثقافة للنّشر والتوزيع، القاهرة، ص.196.

[2] – عبد الرزاق قسوم: مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.105.

لقد سعى القديس أوغسطين إلى معرفة معنى الزمن فارتد إليه سؤاله دون جواب حيث صرّح قائلا:" ما هو الزمن إذن؟ إنّني لا أعرف معرفة جيّدة ما هو، بشرط أن لا يسألني أحد عنه. لكن لو سألني أحد ما هو، وحاولت أن أفسره لارتبكت"[1].

وأوغسطين هنا يؤكّد على الصعوبة البالغة لديه في تقديم تعريف دقيق وشامل للزمن.

وقد أدرك أهمية الجمع بين الزمن والمقولات النّفسية للذاكرة والتوقع (الماضي، المستقبل)، حيث يقرآن هناك دائما خبرة أو فكرة أو شيء حاضر، ومع ذلك فبإمكاننا بناء تسلسل زمني له معنى يعلل الماضي والمستقبل بواسطة الذاكرة والتوقع ونعني بالماضي إذن اختيار الذاكرة الحاضرة لشيء معيّن مضى، وبالمستقبل التوقع أو الاختصار لشيء آتي[2].

وللزمن عند أوغسطين مستويين ، الأوّل انّه طبيعي قد وصفه انّه خارجي وهو الزمن الكوفي، أمّا الثاني فهو زمن إنساني وهو الوعي بالزمن الكوفي.

3/ هنري برغسون:

ينتقد برغسون فكرة الزمن المعيش الذي يمثّل جوهر الزمن في الحقيقة الذي خلق بفعل هيمنة الحياة المادية على وعي الذات الإنسانية التّي جعلته يفكّك الزمن إلى أزمنة

---

[1] – بول ريكور: الزمن والسرد، الحبكة والسّرد التاريخي، تر، سعيد غانمي، وفلاح رحيم، مراجعة:

[2] – مراد الرحمن مبروك، بناء الزّمن في الرّواية المعاصرة لدراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص.06.

ثلاثة هي الماضي، الحاضر والمستقبل وهي مفاهيم مجرّدة لا تمت بصلة إلى الزمن الحقيقي.

وقد قدّم لنا برغسون فكرة الديمومة التّي تعني عنده التطور المستمر للماضي الذي ينظّم للمستقبل في تطور خلاق ولهذا فهي خطأ الفصل التعسفي بين الأزمنة الثلاث فالديمومة وحده تتأبى على التقسيم، غذ هي محصلة الشعور النفسي الواحد للإنسان، وتستمد الديمومة وجودها اللامادي من ذاكرة التّي تجمع الخبرة التّي ينصهر فيها الزمن الموضوعي في حين أنّ الزمن النفسي أو الشعوري هو ما يتركه الواقع من أثر النّفس أو الذاكرة[1]، وبهذا يخلص إلى وجود نوعين من الزمن هما الزمن الاصطلاحي وهو زمن مادي موضوعي، والزمن الذاتي الذي يستمدّ وجوده من الذاكرة والحدس.

ومن كلّ هذا يتجلى لنا أنّ أهمية الزمن لم تأتي اعتباطيا، بل لما يمتلكه من مزايا وخصائص، فللزمن علاقة بالنّفس والروح والواقع، حيث احتل مكانة موقوتة في التحليل من طرف النّقاد والأدباء.

4- أنواع الزمن

قد يتفرّع إلى أزمنة متعددة: نفسي، تاريخي، فلسفي، فلكي، فيزيائي، نحوي...الخ وهذا ما دفع بنا للوقوف عند البعض منها:

---

[1] – حسّان راشدي، سيرورات الواقع ومسالك الكتابة الروائية(مقارنة بنيوية)، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002، 2003، ص.ص.21-22.

أ/ الزمن الفلسفي:

لقد اهتمّ الفلاسفة بماهية الزمن، فالزمان هو مصدر حسي، وهو يختص بتدفق الوقت أو التتابع الزمني بالنسبة لشخص، فهو يرتبط بوعي شخص معيّن ويختفي الإحساس بالتتابع من توقف هذا الوعي لهذا الشخص[1].

يرى الفيلسوف جون لوك الإنجليزي أنّ فكرة الزمان تنشأ من تعاون مصدري المعرفة: الحواس والفكر، وذلك عندما نتأمّل في ظهور أفكار عديدة تتعاقب الواحدة منها وراء الأخرى محدثة بذلك فكرة التتابع أو عندما نتأمّل المسافة لتّي تفصل بين أجزاء هذا التتابع محدقة بذلك فكرة المدّة أو الأمد[2].

وفي العصور الحديثة... تظهر فكرة برجسون عن الزمن لها شكلان:

ويتمثّل الأوّل في بقاء الزمن أو الديمومة، ذلك أنّ تعاقب حالاتنا الشعرية أو حالاتنا في الوعي والإدراك تفترض أنّنا عندما نعيش ذواتنا فإنّنا نكف عن انفصال حالتنا الحاضرة على الحالات السابقة.

أمّا الشكل الثاني فيقول برجسون:" إنّنا نضع حالتنا الشعورية جنبا إلى جنب بطريقة معيّنة نستشعرها جميعا، أي ندركها الإدراك الحسي في آن واحد وراء الأخرى ولكن إلى جانب بعضها البعض".

---

[1] – أنظر:

إميل توفيق: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1982، ص.78.

[2] – إميل توفيق: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، المرجع السابق، ص.82.

ومهما يكتنف هذا القول من غموض فإنّه يتضمّن الاستمرار[1].

إنّ اللاّشعور عند فرويد لا يحكمه النّظام الزمني، الذي يضبط عمل العقل الواعي، فليس في الشعور عنده ما هو قبل وما بعد.

فطبيعة اللاشعور، هي أنّ لا زمن لها... أو هي طبيعة لا زمنية.

تثير اللازمنية في اللاشعور تساؤلا هاما يتعلّق بإمكانه التنبؤ بالمستقبل فهناك أمثلة يسوغها كثير من النّاس لأحلامهم المثيرة، التّي قيل أنّها تأكّد تنبؤها بأحداث حدثت في المستقبل.

وإذا كنّا نستبعد تلك الأحلام التّي تدخل في نطاق الهذيان الإصابي أو أنواع الخدع المضللة و التافهات التّي تتضمّن أحداثا صغيرة مما تتألّف حدوثها...فإنّ أيّ تفسير بعد ذلك لا يعدو أن يكون مجردّ تطابق عفوي وليس مقدرة على التنبؤ[2].

ب/ الزمن التاريخي:

كلّ عمل روائي يعتمد على حدث أو قصة أو خبر لاشك انّه حدث في زمن ومكان محددين، أي أنّه واقع في تاريخ واتصال التاريخ بالأحداث، والأحداث الواقعية في مرحلة زمنية محدّدة هو الذي يعطي الحكاية نكهتها وتشويقها.

---

[1] – نفس المصدر، ص.87.

[2] – إميل توفيق: الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، ص ص.131–132.

غير أنّ انتقال هذا التاريخ إلى الأعمال والنّصوص الأدبية ذات الطابع التخييلي لا يعني إطلاقا، هيمنة الموضوعة التاريخية على السياق التخيلي بل على العكس من ذلك، فالنّص الناجح هو الذي يوظّف هذه الموضوعة التاريخية على أساس أنّها خلفية للأحداث.

فالحديث الروائي انتقائي فني والحديث التاريخي موضوعي شمولي، وصرامة الخطاب التاريخي لا يلتقي مع مرونة الخطاب التخيلي الذي يتعرّض للتاريخ من جوانب عديدة ذاتية موضوعية، فإنّ التاريخ بصفة عامة هو جملة من الأحداث لا تحمل قيمة الإيديولوجية موجهة، فغنّ العمل التخيلي هو عملية قراءة تأويلية لتلك الأحداث، تغذيها دوافع وأبعاد إيديولوجية للمؤلف وللمجتمع ككلّ[1].

والزمن التاريخي يأتي بصيغة الماضي الذي يحمل دلالة معيّنة، ارتدادا إلى أحداث تاريخية مضت إذ" الحدث من حيث هو يجب أن يتسم بالزمنية، والزمن من حيث هو يجب أن يتصف بالتاريخية أي يشكّل من أشكالها... فالزمن إذن ضرب من التاريخ والتاريخ هو أيضا في حقيقته ضرب من الزمن[2].

ج- الزمن الذاتي:

[1] – إبراهيم عباس: تقنيات البنية السّردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنية الشكل(طاهر وطّار، عبد الله العروي، محمّد لعروبي المطوي)، الجزائر، 2002، ص.107.

[2] – عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية ص.ص.210.

وهو الزمن الذي يمكن أن نطلق عليه اسم" الزمن النفسي" وقد نبه له العرب وإن لم يطلقوا عليه هذا المصطلح الذي نطلقه اليوم عليه، منذ القدم كما يفهم ذلك من قول شاعر القديم:

نُبئت أنّ فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول: فشهر الصوم، من الوجهة الموضوعية، شهر لا يزيد ساعة واحدة عن أيّ شهر قمري(بغض الطرف عن كونه كاملا أو ناقصا). ولكن النهوض بصيامه جعل الشاعر يعتقد وقصدا، بأنّه أطول من الشهور الأخرى.

فكأنّ زمن هذا الشهر يحمل إضافة زمنية تطيل من مداه، وتثقل من خطاه.

فالمدّة الزمنية من حيث هي كينونة موضوعية لا تساوي إلاّ نفسها، ولكنّها الذات هي التّي حوّلت العادي إلى غير عادي، والقصير إلى طويل، كما تعمد هذه الذات نفسها إلى تحويل الزمن الطويل إلى قصير في لحظات السعادة وفترات الانتصار.

وإنّما أطلقنا عليه" الزمن الذاتي" لأنّ الذاتي متناقض للموضوعي، ولمّا كانت سيرته أنّه يرى من هذا الزمن على غير ما هو عليه في حقيقته، فقد اقتضى أن تكون الذاتية وصفا حتّى يتضاد مع الزمن الموضوعي[1].

[1] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص.176.

هكذا وأكثر كان للزمن أنواعه المتفرعة، حيث استطعنا أن نقف عند مجموعة منها وإبراز بعض نقاطها التّي لا يجب للباحث في المجال الزمني أن يتجاهلها وأن يخلط بينها.

الزمن في الدّراسات البنيوية

إنّ أوّل من لفت الانتباه إلى الأهمية التّي توليها الرواية لعنصر الزمن هم الشكلانيون الروس، إذ مارسوا بعض تجديداته على الأعمال السردية المختلفة في أوائل العشرينات من هذا القرن، حيث أقاموا تفرقة ذكية بين الحكاية على النّحو الذي ربّما حدثت عليه حدوثا فعليا في الزمان والمكان، وفي حظ. ممتد من الأحداث المتجاورة التّي لا حصر لها وبين النّص اللفظي التّي ظهرت فيه الحكاية،: أي النّص بكلّ ما فيه من فجوات وحذوفات وتأكيدات وإعادة لترتيب الأحداث[1].

وقد تناول توماشفسكي هذه التّفرقة ضمن نص له من نصوص الشكلانيين الروس، حيث توقّف عند مفهوم المتن الحكائي(sujet fable)، ويقصد توماشفسكي بالمتن الحكائي مجموعة الأحداث المتصلة فيما بينها والتّي يقع إخبارنا بها خلال العمل، وانّ المبنى الحكائي يتكوّن من الأحداث نفسها، لكنّه يراعي نظام ظهورها في العمل[2]، ويظهر لنا من خلال هذا التمييز الذي قام به توماشفسكي بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي وجود علاقة جدلية تربطهما، لأنّها تطرح أشكال أخرى على الزمن فلا تبقيه بذلك التصور القديم،

---

[1] –أنظر:

السّيد إبراهيم: نظرية الرواية، دراسة لمناهج النّقد الأدبي في معالجة نص القصة، ص ص.100–101.

[2] – سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص.70.

وغنّما مكّنته من تغيير النظرة داخل العمل الأدبي." حيث نتج من جرائها مفارقات زمنية تمكّن الكاتب من عرض أشكال مختلفة للزمن تتجلى داخل المتن الحكائي، فإذا بدأ الكاتب روايته بعرض الشخصيات التّي تحرّك الأحداث، فإنّه يضعها أمام عرض مباشر، وفي المقابل نكون أمام عرض مؤجّل إن هو اثر التقديم لعمله بعرض الأحداث وهي تنمو مبرزة في كلّ مرّة تطور الشخصية... كما يوظّف شكلا ثالثا يكون سابقه تحكي لنا عمّا سيحدث لاحقا"[1].

وبهذا يكون الجهد الذي قام به الشكلانيون الروس في هذا المجال جهدا معتبرا، حيث يمكن اعتبار دراستهم المهاد الأساسي الذي انطلق منه النّقاد من بعدهم وفي توجيه نظرتهم إلى الجوانب البنيوية في تحليل الخطاب الأدبي، أمثال: تزفتان تودوروف، جيرار جنيت، ميشال بوتوز ... وغيرهم.

1/ تزفتان تودوروف:

تتمثّل مقولة الزمن عند تودوروف بين خطين زمنيين: خط الخطاب التخيلي الذي يصوّر لنا بواسطته التسلسل الخطي للحروف على الصفحة وللصفحات في المجلد، وخط العالم التخيلي وهو أشد تعقيدا.

---

[1] – أنظر:

الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي– دراسة في رواية نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث للنّشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص.46.

ويرى تودوروف أنّ قضية الزمن تطرح بسبب وجود زمنين تقوم بينهما علاقات معيّنة، زمنية العالم المقدّم وزمنيّة الخطاب المقدّم ولكنّه لم ينل خطة كاملة بين النظرية الأدبية إلا عندما اعتمده الشكلانيون الروس قرينة من القرائن الأساسية لإقامة تعارض بين المبنى" نظام الأحداث" والمبنى" نظام الخطاب"[1].

كما يرى تودوروف: " إنّ مشكلة استعمال الزمن في العمل السردي تطرح بسبب التباين بين زمنية الحكاية المسرودة وزمنية الخطاب، فزمن الخطاب زمن طولي من بعض الوجوه، على حين أنّ زمن الحكاية متعدّد الأبعاد، إذ يمكن أن تجري جملة من الأحداث في الحكاية في وقت واحد، ولكن الخطاب مرغم على تقديم هذه الأحداث واحد تلو الآخر"[2].

ويؤكّد أيضا أنّ زمن الخطاب أحادي البعد، في حين زمن التخيّل متعدّد، وزمن التخيل هنا مرتبطا ارتباطا جدليا بالبناء الأنثروبولوجي الثقافي لمنتج النّص، وللمتلقي في آن معا[3].

2/ جيرار جنيت:

يؤكّد جيرار جنيت Gérard Genit كون الحكي مقطوعة زمنية مرتين، فهناك من جهة زمن الشيء المحكي، ومن جهة ثانية زمن الحكي، أي أنّ هناك زمنين: زمن الدّال

---

[1] – تزفتان تودروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار بوقال للنّشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 1987.

[2] – عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص.190.

[3] – جمال الدّين الخضوري: زمن النّص، دار الحصاد للنّشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سورية، دمشق، ص.64.

وزمن المدلول، ويحيل جنيت نوعية العلاقة بين الزمنين على أسماه المنظرون الألمان بزمن القصة وزمن الحكي.

ويلاحظ كون الزمن بهذه الصورة موجودة في السينما وفي مختلف أشكال الحكي الشفوي غير أنّ الحكي الأدبي هو أكثر صعوبة للإحاطة به واستعابه وذلك لأنّ زمن لا يمكن أن " يستهلك" أي يرهّن إلاّ في زمن محدّد هو زمن القراءة. كما يلاحظ أيضا "إنّ النّص السردي شأنه شأن أيّ نص، لا زمنية له، إلاّ التّي يستعيرها مجازا من خلال قراءته الخاصة"[1].

يتناول جيرار جنيت الزمن من منظور العلاقة القائمة بين زمن أحداث القصة وترتيبها وعلاقاتها بالنص الروائي، مقتربا بذلك من منظور تودوروف، لكنّه يركّز بشكل أكبر على محاور ثلاثة، فنج الترتيب الزمني للأحداث وصيغة تمثّله في الخطاب، حيث يخضع الخطاب إلى شروط يفترضها طابع القصة، فيلجا للاستباق الزمني يسرد أحداثا في الخطاب متأخرة في القصة، وهذا الشكل الأول يسمى سوابق"prolepses" وتخلق حالة انتظار لدى القارئ لما سيأتي به السرد فيما بعد من تطور الأحداث.

أمّا الصيغة الثانية من علاقة الترتيب فهي اللواحق"analepses" وتهدف أساسا إلى إعادة التذكير بالأحداث الماضية أو المقارنة بين موقعين.

---

[1] – سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنّشر والتوزيع، الطبعة 3، بيروت، 1997، ص.76.

وأخيرا العلاقة الثالثة التواتر"fréquences" تمثّل شكلا آخر من دراسة درجة تردد الأحداث وللمواقف، والأقوال بين القصة والخطاب[1].

3- ميشال بوتور(Michel Butour)

إنّ الناقد الفرنسي ميشال بوتور يرى أنّه من الصعب جدا التقيّد بالترتيب الزمنين فهو يقول:" إذا بذلنا مجهودا قاسيا في إتباع النّظام الزمني بدقة متناهية، دون الرجوع غلى الوراء حصلنا على ملاحظات مدهشة. وهكذا يستحيل كلّ عودة إلى التاريخ العام، وغلى ماضي الأشخاص الذين صادفناهم وإلى الذاكرة، وبالتالي غلى كلّ ما هو داخلي، فيتحوّل الأشخاص عندئذ بالضرورة إلى أشياء ولا تعود رؤيتهم ممكنة غلى الخارج، وقد يصبح متعذّرا حملهم على الكلام.

كما يقول أيضا: إنّنا نعاكس في سيرنا مجرى الزمن ونغوص في أعماق الماضي أكثر فأكثر، كما يفعل علماء الآثار أو علماء طبقات الأرض الذين يقيمون أولا على الطبقات الحديثة في إنشاء تنقيبهم، ثمّ يقتربون شيئا فشيئا من الطبقات القديمة التكوين"[2].

كما يشير بوتور إلى صعوبة تقديم الأحداث في الزاوية وفق ترتيب خطي مسترسل، ففي رأيه أنّنا حتّى في السرد الأكثر التزاما بالتسلسل الزمني، لا نعيش الزمن باعتباره استمرارا إلاّ في بعض الأحيان...وأنّ العادة وحدها هي التّي تمنعنا من الانتباه، أثناء القراءة،

---

[1] – إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال، النّشر والإشهار، الجزائر، ص.104-105.

[2] – ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، مكتبة الفكر الجامعي،منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1986، ص.98-99.

إلى التقطعات والوقفات وأحيانا القفزات التّي تتناوب على السرد، ومن هذه النّاحية يرى بوتور أنّ ما يزيد هذا الانقطاع بروزا وعنفا هو طبيعة الحياة المعاصرة التّي تحمل الكاتب على تقديم سردهم ككتل موضوعه جنبا غلى جنب وكأنّما لإشعارنا بقوة تلك الانقطاعات في الوجود الإنساني ذاته(الأمس = العودة إلى الماضي، الغد= القفز إلى الأمام...)[1].

4/ جان ريكاردو: Jean Ricardou

يميّز جان ريكاردو في كتابه" قضايا الرواية الجديدة، بين زمن السرد وزمن القصة ويضبطهما معا من خلال محورين متوازيين ويسّل في احدهما زمن السرد وفي الآخر زمن القصة وينظر من خلال عدّة نماذج إلى أنواع العلاقات التّي تتم بين المحورين.

ومن خلال الشكل التالي يبرز ما يتعرّض له الحكي من حذف وإيقاف وغيرهما من الظواهر،" حيث أنّ الإمكانات التّي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها، ذلك أنّ الراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة، ولكنّه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة[2].

---

[1] – حسن بحراوي، بينية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2009، ص112.

[2] – إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، ص.104.

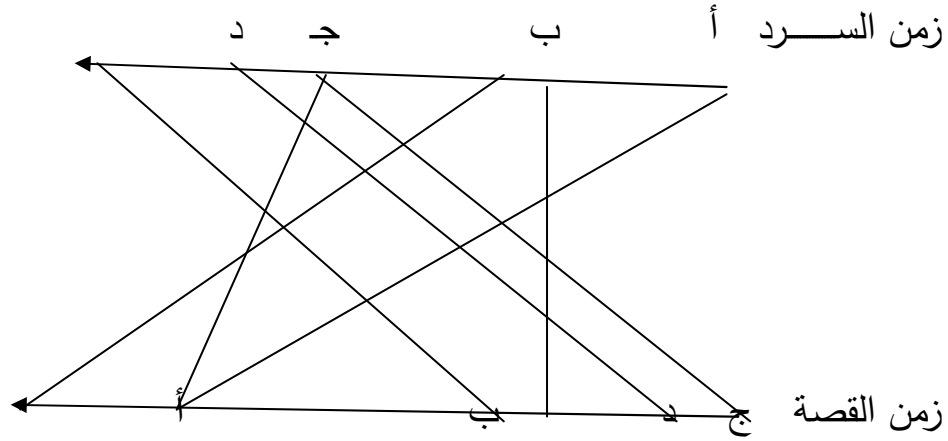

كما أنّه هناك إمكانية استباق الأحداث في السرد، بحيث يتعرّف القارئ إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة، فإذا كانت الوقائع في زمن القصة على الترتيب التالي:

أ ← ب ← جـ

فإن زمن السرد يأتي على الشكل التالي:

أ ← جـ ← ب

5/ رولان بارث:

يعمل رولان بارث على إثارة قضية الزمن في سياق حديثه على الكتابة الروائية حيث يعلن أنّ أزمنة الأفعال في شكلها الوجودي والتجريبي لا تؤدي معنى الزمن المعبّر عن النّص، وإنّما غايتها تكثيف الواقع وتجميعه بواسطة الربط المنطقي[1].

[1] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،(الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص.11.

* رولان بارث: ناقد فرنسي وهو احد أعمدة النقد العالمي في النّصف الثاني من القرن العشرين.

كما يؤكّد رولان بارث أنّ الزمنية ما هي غلاّ طبقة بنيوية من طبقات الخطاب وانّ ما نسميه الزمن في القصة لا يوجد إلا وطبق في نظام دلالي، فالزمن لا ينتمي إلى الخطاب بكلّ ما للكلمة من معنى ولكن إلى المرجع[1].

والزمن السردي في رأيه أيضا، ليس سوى زمن دلالي أمّا الزمن الحقيقي فهو وهم مرجعي واقعي حسب تعبير يقتبسه من بروب ومن ثمّ تبقى المهمة التّي يسندها بارث إلى الباحث في الزمن الروائي هي التّوصّل إلى وصف بنيوي للإلهام الزمني[2]. وفي الأخير نستطيع القول بأنّ الزمن الروائي في تعدّد مضامينه واختلاف وظائفه وتشعب الدّراسات التّي اهتمت به عنصرا بنائيا فنيا في الرواية أصبح يشكّل هاجسا لدى الدارسين والنّقاد، وهذا يدل على أهمية عنصر الزمن في البنية الروائية.

مستويات البنية الزمنية

إذا كان الزمن احد أهم العناصر البنائية المميزة للنصوص الحكائية، ليس فقط لأنّ هذه النصوص تقوم أساسا على سرد حدث أو مجموعة أحداث تجري في زمن ما، بل لأنّها تشكّل مجموعة تفاعلات وتدخلات بين أنواع ومستويات زمنية كثيرة ومختلفة(منها الخارجيexterne، ومنها ما هو داخليinterne)[3].

---

[1] – رولان بارث: مدخل في التحليل البنيوي للقصص، ترجمة منذر عياشي، منشورات مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993، ص.54.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص.111.

[3] – انظر:

ولهذا فإنّ الزمن الروائي ليس زمنا موضوعيا، ذلك الذي يقاس بالساعة، بل هو زمن شعوري داخلي، وبذلك فإنّ الماضي يتقاطع مع الحاضر ليخلق مفارقات زمنية، أو ما يسمى " بالمفارقة السردية" وهذه الأخيرة قد تكون مفارقة استرجاع أو مفارقة استباق، حيث تمكّننا الأولى من استرجاع أحداث ماضية، أمّا الثانية فتسمح لنا بمعرفة الحدث قبل أوانه[1].

1/ السرد الاستذكاري أو الاسترجاعي:

في هذا النّوع من السرد يروي السارد فيما بعد ما قد وقع من قبل[2]، فالاسترجاع يجعل الزمن متوقف ليعود الذهن إلى الوراء، وهو نوعان: داخلي وخارجي، ويحدّد جيرار جنيت الاسترجاع الداخلي بأنّه الاسترجاع الذي يكون حقله الزمني متضمنا في الحقل الزمني للحكاية الأولى، أمّا الخارجي هو ذلك الذي تظلّ سعته كلّها خارج سعة الحكاية الأولى[3].

السرد الاستشرافي او الاستباقي:

يعني السرد الاستشرافي أو الاستباق

رابح الأطرش: مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، مارس 2006.

[1] – د– صالح مفقودة: نصوص وأسئلة(دراسات في الأدب الجزائري)، اتحاد الكتّاب الجزائريين، الطبعة الأولى، 2002، ص.16.

[2] – محمّد بوعزة: تحليل النّص السردي(تقنيات ومفاهيم)، ص.88.

[3] – جيرار جنيت: خطاب الحكاية، محمّد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، الرباط، المغرب، ط2، 1997، ص.61.

يعني السرد الاستشرافي كلّ مقطع أو مجموعة مقاطع من الزاوية تروي أو تثير أحداثا سابقة عن وقوعها، تجعل المتلقي في حالة انتظار أو تطلّع لما سيحدث. والاستشراف نوعان:

أ/ **الاستشراف كتمهيد**(amorce).

ب/ الاستشراف كإعلان(annonce).

ويكون الاستشراف تمهيديا حين يقدّم لنا أشياء متوقعة الحدوث، سواء تحقق حدوثها أو لم يتحقق.

أمّا الاستشراف الإعلاني فيكون عندما يخبرنا الراوي بصراحة عن أحداث سيشهدها السرد بكلّ وضوح وتأكيد[1].

3/ الزمن من حيث البطء والسرعة:

يتحدّد إيقاع السرد من منظور السرديات بحسب وتيرة سرد الأحداث، من حيث درجة سرعتها أو بطئها. في حالة السرعة يتقلّص زمن القصة ويختزل، ويتمّ سرد أحداث تستغرق زمنا طويلا في اسطر قليلة أو بضعة كلمات، وذلك بتوظيف تقنيات زمنية سردية أهمها: الخلاصة sommaire والحذف ellipse.

أمّا في حالة البطء يتمّ تعطيل زمن القصة وتأخيره ووقف السرد بتوظيف تقنيات سردية مثل: المشهد scène الوقفة pause[2] .

---

[1] – د– صالح مفقودة: نصوص وأسئلة(دراسة في الأدب الجزائري)، ص ص.17–18.

[2] – محمّد بوعزة: تحليل النّص السردي، (تقنيات ومفاهيم)، ص.88.

ملخص الرواية

تدور أحداث الرواية حول نهاية الإنسان على الأرض، ويبحث البطل فيها عن سر الوجود وعن قيمة الحياة وعن الدور المنوط به على هذه الأرض.

نشأ البطل في جو الصراع والتنافس من اجل الاستمرار في الحياة، بحي كان والده رئيس القبيلة وقد تعرّض هذا الأخير للقتل من قبل أخيه، وكان سن البطل لا يتجاوز أربعة عشر سنة ورغم صغر سنه استطاع أن يفهم السر الذي جعل الأخ يقدم على قتل أخيه، ولم يلبث طويلا حتّى قرّر أخذ ثأر أبيه وقتل عمه.

أخذ صديق والده"بروميثيوس" بزمام القبيلة إلى أن بلغ البطل سن الثامن عشر أين أُسندت له شؤون القبيلة، وذلك للصفات والمؤهلات التّي يتمتّع بها والتي تسمح له بتولي شؤون قبيلته، لكنّه بالرغم من توليه هذا المنصب إلاّ انّه لا يتخذ أيّ قرار حتّى يعرضه على "بروميثيوس" الذي كان ذراعه الأيمن.

لم تعد قسوة الطبيعة بثلوجها العدوّ الوحيد للقبيلة، وإنّما نشأ عدوّ ثاني يتمثّل في القبيلة المجاورة والتّي أصبحت خطرا محدقا بهم في كلّ وقت وذلك بعد تولي"هاديس" المقرّب الأوّل لعم البطل أمور قيادة القبيلة الثانية، وهاديس معروف عنه بجشعه وحبه لسفك الدماء وقتل الأبرياء، وفي يوم ما تعرّضت قبيلة البطل لهجوم مفاجئ من طرف القبيلة الأخرى وذلك في غياب الرجال الذين خرجوا للبحث عن الحطب والمؤونة، وقد قاموا بتخريب ديارهم، كانت ردة فعل القبيلة سريعة إذ اخذوا بثأرهم بعد خروج هاديس ورجاله بحثا عن المؤونة، هكذا اشتدّ الصراع أكثر بين القبيلتين وذلك بعد فشل كلّ مساعي الصلح والمفاوضات وقد انتهى الصراع بمقتل هاديس في مبارزة مباشرة مع البطل أين كانت الغلبة لهذا الأخير بعدما غرس خنجره في صدر هاديس.

نال الحكيم لشجاعته وحكمته إعجاب العديد من النّساء في قبيلته اللواتي طلبناه من أجل أن يكون رفيقا لهن، حيث كانت كلّ واحدة منهن تسعى جاهدة لإرضائه.

بعد تولي"أفروديت" قيادة القبيلة الأخرى حلّ السلام بين القبيلتين وأفروديت هي فتاة قوية وشجاعة وتحمل كلّ الصفات التّي تسمح لها بقيادة قبيلتها، عادت أفكار الأبطال إلى حبه لأفروديت ابنة عمه التّي أغرم بها منذ صغره إلاّ أنّ الظروف لم تسمح له أن يكون معها، وقد حصل بعد ذلك على ست رفيقات في قبيلته، وأصبح أيضا لكلّ رجل رفيقة خاصة به تؤنسه في وحدته حيث كوّن أفراد القبيلة أسرة واحدة موحدة مملوءة بالحب والإثارة، إضافة

إلى الدفء رغم برودة الطقس وقسوة الطبيعة، كان البطل هو الوحيد الذي يملك ست رفيقات ورغم حبه لهن إلاّ أنّه مغرما بـ" فينوس" التّي تشبه كثيرا حبيبة طفولته"أفروديت".

وبعدها جاء الحديث عن الأجيال السالفة وأسباب الصراع بينهم ونمط عيشهم وذلك حسب ما قرأه في الكتب التّي وجدها داخل الصندوق، حيث كشفت تلك الكتب لديه أسرار الأجيال السالفة وأزال الغموض الذي كان يكتنفه حول بعض القضايا السائدة قديما، وبعدها مقارنة وضع قبيلته الذي كان فيها الصراع من اجل البقاء أحياء على هذه الأرض، بالأوضاع السابقة ومعرفة الأسباب التّي أدت إلى هذا التدهور حيث كان يفقد أفراد عائلته واحدا تلو الآخر.

وبعد وفاة " بروميتيوس" قرّر الحكيم مصارحة "فينوس" بمشاعره نحوها والتّي بدورها طلبته ليكون رفيقا لها. فعاش معها أياما مليئة بالحب والسعادة إلى أن جاء اليوم الذي رحلت فيه فينوس" أثّر فراقها فيه كثيرا حتّى أنّه فكّر في الانتحار، وقد استطاع بعد مرور عدّة أسابيع من تلك الحادثة أن يعود إلى حالته الطبيعية مع أصدقائه ورفيقاته.

حاول الحكيم أن ينزع النظرة التشاؤمية للحياة وأن يتأقلم مع ظروفها إلاّ أنّ أفراد قبيلته لا يستطيعون الصمود أمام غضب الطبيعة وبردة الطقس الذي اخذ يقضي عليهم الواحد تلو الآخر، فقد جاء اليوم الذي صدق احتماله حيث مات كلّ أراد قبيلته وبقي وحيدا. قضى عدّة شهور في المغارة لا يغادرها حتى يسترجع فيها ذكرياته الجميلة مع أصدقائه.

قرّر الحكيم المواصلة بنفسه ووضع هدفا لنفسه ألا وهو صعود جبل والوصول إلى قمته، وبعد أن حقق هدفه ونال مبتغاه عاد غلى المغارة لكنّه بعد مرور الوقت عاد إليه الملل وبعدها اتجه إلى الصندوق من اجل الكتب وفجأة وقعت عينيه على دفتر يشبه الدفتر الذي كان يكتب فيه مذكراته وعندما فتحه أصيب بدهشة حيث كان مكتوبا بخطه ويحمل نفس ما يحمله دفتره وعلم أنّ الدفتر يحتوي على مستقبله وبعدها قرّر عد الإطلاع عليه وإعادته إلى مكانه.

وبعد حادثة الدفتر قرر البطل البحث عن حبه الأوّل" أفروديت" التّي لم يراها منذ أن قتل أباها وهو في سن الثامنة، فقصدها في مغارتها حيث تحققت أمنيته ووجدها وحيدة كاد يقضى عليها لكنّها استطاعت أن تقاوم الظروف القاسية.

انتقل البطل مع حبيبته " أفروديت" التّي لا تزال تحبه أيضا إلى المغارة التّي يعيش فيها فعاشا الاثنين أياما مليئة بالحب والسعادة، لكن جاء اليوم الذي فارقت فيه الحياة وتركته وحيدا على وجه الأرض، فبقي أزيد من شهرين وهو يدرك أنّ موعده هو الآخر قريب حيث بدأ يحس بالموت تقترب منه وهو يعرف انّه قد حقق هدفه في الحياة ألا وهو تحقيق السعادة لنفسه ولغيره وكان سعيدا لأنّه أدرك أيضا أنّ الحياة والموت شيئين متلازمين.

1/ المفارقات الزمنية ودلالاتها.

هناك مظاهر لا تكاد تحصى، وطرائق لا تكاد تعد، للتعامل مع الشبكة الزمنية عبر النّص الروائي تبعا للأحوال التّي تلامس الشخصية، وعلى مقدار براعة المبدع على التكيّف مع الزمن أّولا ثمّ تكيّفه مع طبائع الشخصيات والأحداث السردية ثانيا.

فعمد الكثير من الروائيين إلى كلّ ما كان قائما على التسلسل الزمني المنطقي، وشوشوا على نظامه، فاتخذوا من الفوضى جمالا فنيا، ومن الخروج عن المألوف جدّة في الشكل الروائي وبنائه، حيث يقول عبد المالك مرتاض:" أنّ أيّ بناء للكتابة الروائية اغتدى قطعا مجزاة مطروحة من هذا البناء: أكواما فوق أكوام، وركاما على ركام، ليتخذ منها القارئ الروائي البناء الذي يريد والشكل الذي يشاء"[1].

ومن هنا نشأت علاقة يمكن ملاحظاتها هي علاقة النّظام فنظام الزمن الحكائي(زمن الخطاب) لا يمكن أن يكون موازيا تماما لنظام الزمن المحكي(زمن التخيّل) وثمة بالضرورة تداخلات في ا"لقَبْلِ" و"البَعْدِ، ونتج عن هذه التداخلات الاختلاف بين الزمنين من حيث طبيعتهما. فزمنية الخطاب أحادية البعد وزمنية التخيّل متعددة، واستحالة التوازي تؤدي إلى الخلط الزمني الذي نميّز فيه بداهة بين نوعين رئيسين: الاسترجاعات أو العودة

[1] – انظر: عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص.199.

إلى الوراء والاستقبالات أو الاستباقات، ويكون الاستقبال عندما يعلن مسبقا عما سيحدث لاحقا، أمّا الاسترجاعات وهي أكثر تواترا فتروي لنا فيما بعد ما وقع من قبل[1].

يقول جيرار جنيت:" إنّ مفارقة ما، يمكنها أن تعود إلى الماضي أو غلى المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر"، أي عن لحظة القصة التّي يتوقف فيها السرد من اجل أن يفسح المكان لتلك المفارقة، إنّنا نسمي "مدى المفارقة" هذه المسافة لزمنية، ويمكن للمفارقة أن تغطي هي نفسها مدة معيّنة من القصة تطول أو تقصر، وهذه المدّة هي ما نسميه" اتساع المفارقة"[2].

[1] – أنظر، تزفيتان تودوروف، الشعري: ص.48.

[2] – أنظر: حميد لحميداني: بنية النّص السردي، ص.75.

أ/ السرد الاستذكاري(الاسترجاع)

في السّرد تشكّل كلّ عودة للماضي استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النّقطة التّي وصلتها القصة[1]. ويتمثّل الاسترجاع تقنية زمنية يستطيع السارد من خلالها العودة إلى زمن سابق مرت به ذاكرته، وهو " مخالفة لسير السرد. تقوم على عودة السارد إلى حدث سابق".

هناك من يسمي الاسترجاع بالسرد اللاحق، ويعتبرونه سيّد أنماط السّرد جميعا[2].

وهناك من يعتبر الاسترجاع محرّك الأحداث الروائية، يلجأ إليها عن طريق الرؤى مازجا من خلالها بين الماضي والحاضر، وجاعلا من الماضي حاضرا، ذلك أنّ العناصر الماضية في هذه الحياة عناصر متكرّرة من الماضي مستمرة في الحاضر[3].

فالروائي مجبر على توظيف الاسترجاع في روايته فهو لا يستطيع أن يحكي فقط عن الحاضر، حيث يجب العودة إلى الماضي ليخلق نوعا من التداخل الزمني، وتعدّ هذه التقنية الأكثر شيوعا داخل عالم الرواية، فهي ذات أبعاد دلالية وجمالية في الرواية، فهي تعمل على اشتغال الذاكرة من اجل تعريفنا على أحداث ماضية وإعطائنا معلومات حول سابق الشخصية.

---

[1] – أنظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص.221.

[2] – أنظر: عبد لامنعم زكريا القاضي، البنية السّردية في الرواية، ص.110.

[3] – أنظر: ليلى الشيخ: الواقعية عند نجيب محفوظ، دار الفكر، القاهرة، ص1978، ص.95.

كما أنّها تعمل سدّ الفراغ الذي حصل في النّص السردي.

وينقسم الاسترجاع إلى نوعين شهيرين يمثلانه وهما:

أ1/ الاسترجاع الخارجي: يلجأ الراوي في كثير من الأحيان إلى توظيف الاسترجاع الذي يكون زمنه خارج المجال الزمني أحداث حاضر القص، ويوظّف عادة قصد تزويد القارئ بمعلومات تساعده على فهم أحداث الرّواية.

وهذا النّوع من الاسترجاع كان حاضرا في رواية" مذكرات آخر إنسان على الأرض" "لبوعلام بطاطاش"، فمثلا نجد قول الراوي:

"... الإنسان في السابق يولد الصراعات من أجل أشياء تافهة أو أنّه يقوم بالخير لأنّه ينتظر الجزاء، ولا يقوم بالشر لأنّه يخاف من العقاب"[1].

فقد عاد بنا السارد في هذا الاسترجاع إلى ما قبل روايتهن وهي فترة بعيدا كثيرا عن نقطة انطلاق سرد الحكاية، وهناك أمثلة أخرى من هذا النّوع الاسترجاعي مثلا:

".....في البداية كانت الحروب هي وسيلة بشرية في إنقاص عددها وكان الأقوياء يقضون على القرى الصغيرة والفقيرة لينتقلوا بعدها إلى المدن الفقيرة، ثمّ البلدان المختلفة

[1] – ينظر: بوعلام بطاطاش: مذكرات آخر إنسان على الأرض، دار الحكمة للنّشر، الجزائر، 2009، ص.191.

تحت ذرائع عدّة ثمّ توصلوا إلى طريقة لا تخطر على بال أحد حيث تمكّنوا من صنع مواد تجعل الإنسان عقيم"[1].

".....إذ وجدت بأنّ الأجيال السابقة لم تهتم بنا أصلا إذ كيف لها أن تدمّر الأرض وتستغل ثرواتها بدون أن تترك لنا جزءا منها؟

كانت موارد الطاقة حسبما اطلعت عليه متنوعة وكثيرة، فمن فحم وحطب وغاز وبترول وشمس ورياح وغيرها، بالإضافة إلى المعادن المختلفة التّي كانت تزخر بها الطبيعة، كلّ ذلك قد استغل ولم يترك لنا أيّ شيء"[2].

أ2/ الاسترجاع الداخلي:

يعمل هذا النّوع من الاسترجاع على استعادة أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية، أي إنّها تنتمي زمنيا إلى داخل الرواية[3]، ومن أمثلة هذا النّوع الاستذكاري نجد قول السارد وهو يحيلنا مباشرة إلى مرحلة طفولته:" لن أنس أبدا أبي ونصائحه التّي كان يقدّمها لي طوال الوقت: ليس هكذا، انظر بهذه الطريقة.....يالك من ولد غبي، هل ستتعلّم يوما؟[4].

---

[1] – ينظر: الرواية: ص ص.118–119.

[2] – الرواية: ص.120.

[3] – : بوعلام بطاطاش: مذكرات آخر إنسان على الأرض، دار الحكمة للنّشر، الجزائر، 2009، ص.191.

[4] – أنظر: الرواية، ص.33.

كما يقول متحدّثا عن عظمة وشجاعة والده:"...كان يحل كلّ النّزعات الموجودة بينهم، وكم هي كثيرة، كان يخرج مع الرجال للبحث عن المؤونة، ولا يعود إلاّ بعد مرور أسابيع وهو محمّل بالكثير من الحيوانات ورزم الحطب...."[1].

وقد تكرّرت المفارقة الاسترجاعية المتعلّقة بطفولة الكاتب، حيث نجد قول حبيبته أفروديت:" عندما كنّا صغارا قلت لها في إحدى المرات: أنا أعلم أنّك ستكونين رفيقة لي، فقالت، ومن قال لك غنّني سأطلبك؟ فقلت: لن تجدي أحسن منّي، فأنا ابن حكيم القبيلة، وأنا وسيم وقوي وذكيّ، ولا أحد يستطيع أن يتغلّب عليّ، انظري إلى قوتي ثمّ بدأت أقفز وأقوم بحركات بهلوانية حتّى وقعت على الأرض فساعدتني على النّهوض، وقالت مبتسمة لن أكون رفيقة لإنسان متهوّر"[2].

ويعود الاستذكار الداخلي مرّة أخرى ليحدّثنا الكاتب عن نمط عيشهم فيقول عندما يغيب أبي مع جنوده في رحلاته الكثيرة بحثا عن المؤونة، يتولى عمي تسيير القبيلة، كان أقل سنا من والدي، وكانت رديه رفيقتين وابنة واحدة تدعى "أفروديت" أكبرها بأربع سنوت، لمّا بلغت سنّ الرابعة احتدم الصراع بين أبي وعمي بسبب طريقة توزيع المؤونة...لم يرضى عمي بكلّ التعليمات التّي يقدّمها أبي...".

---

[1] – أنظر: الرواية،ص.34.

[2] – أنظر: الرواية، ص.48.

"... صرخ أبي في وجهه، فخرج عمي وهو يتمتم بكلام غير مفهوم، سمع سكان القرية كلّهم بالحادثة وفي اليوم التالي وجد أبي مقتولا على سريره، والدّم يغطي صدره، اتجهت الشكوك نحو عمّي، ولمّا ذهبوا إلى منزله وجدوه فارغا، لم يكن هو الوحيد الذي غادر القرية، بل رحل معه جانب من أصدقائه المقربين برفيقاتهم وعائلاتهم، لم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ بل اخذوا معهم الكثير من المؤونة..."[1].

ونقول أنّ مفارقة الاسترجاع هي التقنية الأكثر شيوعا داخل عالم الرواية ولهذا فهي كثيرة.

ب/ السرد الاستشرافي(الاستباق)

تعمل السوابق على حكي شيء قبل وقوعه، فيذهب السارد إلى اشتغال التخيّل، والإشارة إلى أحداث سابقة عن أوانها، ولم يصل إليها السرد بعد، ويتجسّد هذا في النّص السردي بقلب نظام الأحداث في الرواية عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة عليها في الحدوث، فيستعمل مفهوم السرد الاستشرافي للدلالة على كلّ مقطع حكائي، يروي أحداثا سابقة عن أوانها أو بمعنى توقع حدوثها[2].

---

[1] – أنظر: الرواية،ص.36.

[2] – أنظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص.132.

ونجد هذه الاشرفات تأتي على شكل توقعات وتنبؤات وهي تنتج عن المواقف التّي تعيشها الشخصيات، وهي عبارة عن تكهّن مستقبلي لحدث سردي يشير إليه إشارة زمنية أوّلية، تكشف أنّ هذا الحدث سيقع في السّرد، لذلك فإنّ هذا التكهن لا يكتمل إلاّ بعد انتهاء القراءة، ولهذه التقنية وظائف منها:

أنّها تجعل مشاركة القارئ في النّص، إذ يوجّه انتباهه لمتابعة تطور الشخصية والحدث، فهي تعمل على خلق حالة انتظار لدى القارئ[1].

والاستشراف نوعان: تمهيدي وإعلاني.

ب1/ الاستشراف كتمهيد(amorce)

يكون الاستشراف تمهيديا حين يقدّم السارد أشياء متوقعة الحدوث في العالم المحكي[2].

ومن أمثلة هذا النّوع الاسترشافي في رواية "مذكرات آخر إنسان على الأرض" نجد:" ثمّ عاودتني صورة أفروديت، أما زالت حيّة أم لا؟

هل أفراد قبيلتها أحياء أم هم الآن في عداد الأموات؟...فماذا لو أجدتها في حالة الأشخاص الذين وجدتهم بالمغارة التّي دخلت إليها أثناء رحلتي؟ كيف لي أن أعيش وحيدا

---

[1] – مها حسن قصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، الطبعة، بيروت، ص ص.212-213.

[2] – أنظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص.133.

في هذا العالم؟ هل أستطيع أن أتلاءم مع هذا الوضع؟ أن أكون آخر إنسان على الأرض"[1].

كما نجد أيضا قوله عن أفروديت دائما:" .....كيف لها أن تعيش مع قاتل أبيها؟ إنّها الآن حتما تفكر في كيفية قتلي، والفرصة الأولى التّي ستسنح لها لن تضيعها، وأنا متأكّد من ذلك"[2]. وهذا السرد الاستشرافي ينبئ باحتمال تفكير "أفروديت" الانتقام لوالدتها، فالسارد هنا يتوقّع أحداث ممكنة الوقوع ي المستقبل سواء تحقق وقوعها أم لم يتحقق.

ب2/ الاستشراف كإعلان(annonce)

يعمل الاستباق الإعلاني على إخبارنا بصراحة عن أحداث سيشهدها السرد، فهو يقوم بمهمة إخبارية حاسمة تطرح بشكل مباشر حدثا سيأتي فيما بعد تفصيله، ويتميّز بعدم القابلية للنّقض أو امتناع الحدث، كونه يخبر بصراحة ووضوح تام في أحداث وإشارات أو ربما إيحاءات أوّلية عمّا سيأتي سرده بصورة مفصلة[3].

---

[1] – الرواية: ص.255.

[2] – الرواية: ص.77.

[3] – د/ جودي فارس: دور الزمن في رواية"الصحن" للروائية الأردنية، سميحة خريش، مجلة دراسات أدبية، دار الخلدونية للنّشر والتوزيع، الجزائر، العدد، 09، فيفري، 2011.

وفي هذه الرواية نجد أنّ الراوي قد وظّف هذا النّوع من الاستباق بدءا بالعنوان، حيث يمكن أن نعتبر العنوان:" مذكرات أخر إنسان على الأرض"، استباق معلن، فهو يعلن عن النّهاية الحزينة للقصة.

ومن أمثلة ذلك أيضا نجد:" كيف هي أفروديت الآن؟ أنا على علم بأنّها تقود بذكاء وفطنة أفراد قبيلتها، وهي حتما قد فقدت مثلنا العديد من الأشخاص بسبب البرد، وتحمل المستحيل لأن تصل إلى المؤونة والحطب، آه لو كانت معي الآن لكنّا ننعم بكلّ شيء، اظن أنّ سعادتي لن تكتمل إلاّ بوجودها معي، وربما إن كانت لا تملك فسيكون ذلك علامة على حبذها، على تمسكها بالعقد الذي أبرمناه ونحن صغار"[1]. والسارد هنا قد توقّع حكمة أفروديت في توليها شؤون قبيلتها، والسارد هنا توقّع حكمة أفروديت في توليها شؤون قبيلتها، وأيضا حبها له بعد كلّ ما جرى، وهذه التوقعات قد تحققت في النّهاية.

كما يمكن إدراج أمثلة أخرى من هذا النّوع الاسترشافي وذلك في السارد:

" أصبح المستقبل واضح المعالم، ولذلك فإنّه كلّما يأتي يوم جديد دون أن نجد فيه أيّ أذى واعتبرناه بمثابة يوم فرح"[2].

"...أنتم تعرفون أنّه عندما يموت أحد منّا فإنّ حياته ستنتهي وتعرفون أيضا أنّنا سنلتقي نفس المصير عاجلا أم آجلا"[1].

---

[1] – الرواية، ص ص.77–78.

[2] – أنظر الرواية: ص.62.

فهنا السارد يؤدي وظيفة إخبارية، فهو يعلن عن أحداث ستتحقق فعلا، حيث جاءت هذه الاستشرافات صريحة لما سيأتي عليه الأوضاع سواء في المستقبل القريب أو البعيد.

وفي الأخير نقول أنّ تقنية الاستباق بنوعيها، تمنح البناء الزمني في الرّواية تشكيلا خاصا يمنحها بعدا جماليا إضافيا، فهي تخلق نوعا من التشويق والتطلّع لما سيحدث في أحداث الفصول اللاحقة.

2/ تقنيات الزمن السردي:

سنتطرق الآن إلى وجه آخر من وجوه الزمن، فبعد أن تحدّثنا عن الزمن ترتيبا، وتعرّفنا إلى أهم ما يتعلّق بمفارقاته الزمنية. سنتعرّف إليه من زاوية أخرى، هي زاوية المدّة، أي الوتيرة السريعة أو البطيئة التّي تعرض خلالها الأحداث[2]. وتنقسم الحركات السردية تبعا لذلك إلى أربع حركات رئيسية، تعبر اثنتان منها على تسريع السّرد وهما: الخلاصة والحذف، بينما تعبّر الأخريات عن تبطئة السرد وهما: المشهد والوقفة.

فإذا كان الحذف يمثّل حالة ينعدم فيها زمن الحكاية قياسا إلى زمن القصة، فإنّ الخلاصة تشكّل تسريعا لزمن الحكاية، ويتمّ إيجاز الأحداث فيه بسرعة أكبر ممّا هي عليه في زمن القصة، وتكون هذه السرعة متغيّرة من حالة إلى أخرى.

---

[1] – أنظر الرواية: ص.62.

[2] –جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص.101.

وإذا كانت الوقفة هي اتساع لزمن الحكاية، مقارنة بزمن القصة، فإنّ المشهد يمثّل حالة مساواة بين الزمنيين[1].

أ- تسريع السرد:

في هذه الحالة لا يكون السارد بحاجة إلى الوقوف عند كثير من الأحداث القصصية، فيقوم باختزالها واختصارها أو إسقاطها من السّرد الروائي، وعندئذ يصير السّرد سريعا وهناك نوعان من التسريع هما: الخلاصة والحذف[2].

أ1/ الخلاصة(sommaire)

تعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات،واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرّض للتفاصيل[3].

ومن أمثلة هذا النّوع في الرواية: أنّ الروائي ذكر لنا تعليمه دام 4 سنوات كنّه لم يكشف عن التفاصيل الدقيقة لتلك السّنوات الأربعة التّي قضاها في تعلّمه، حيث قال:

---

[1] – جيرار جنيت: المرجع نفسه، ص.109.

[2] – د/ صالح مفقودة: نصوص وأسئلة(دراسات في الأدب الجزائري)، ص.25.

[3] – حميد لحميداني: بنية النّص السردي، ص.76.

" لقد تمكّنت أخيرا من اكتساب هذه اللغة، اعترف بانّي قد أبطات كثيرا، فأربع سنوات كاملة مرّت من حياتي كلمح البصر لكنّها في الحقيقة تمثّل مدّة طويلة في حياة شخص"[1].

وفي مثال آخر يقول:" استمرت العواصف زهاء الشهر، مرضت أثناءه رُودُروب وبقي أُوْرفيُوس بجانبها إلى أن لفظت أنفاسها"[2].

فهنا ذكر موت رُودُروبْ واختزل أسباب وتفاصيل موتها أي أنّه لم يذكر كم دام مرضها وكيف ذلك.

في مثال آخر حيث قال:" كانت أرْتميس أشد تأثرا بما حدث لايُوس، حيث وجدناها ميّتة في صبيحة اليوم الموالي لبداية العواصف، وفي اللّيل تبعتها فيليبْس"[3].

فهنا السّارد لم يتعمّق في الحديث عن تفاصيل موتهما، حيث كان بإمكانه التفصيل أكثر حول ما جرى لكنّه فضّل التلخيص.

ولتلخيص وضائق فهي تعمل على سدّ الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث، كما تقوم بالمرور السّريع على الفترات الزمنية الطويلة.

وأيضا تشعرنا بالوضع الجديد الذي صادفه البطل.

---

[1] – الرواية، ص.05.

[2] –الرواية: ص.204.

[3] – الرواية: ص.206.

أ2/ الحذف:ellipse

هنا زمن القصة موجود، أمّا زمن الحكي غير موجود، بمعنى أنّ الأحداث موجودة والسرد غير موجود، والحذف حسب"جنيت" هو استبعاد بعض الفترات الزمانية التّي يتم إسقاطها من زمن الحكاية، وهذه التقنية تكون واضحة معلنة أو مضمرة"[1].

ويسميه حميد لحميداني بالقطع فيقول:

" يلتجئ الروائيون في كثير من الأحيان إلى تجاوز بعض المراحل من القصة، دون الإشارة بشيء إليها، ويكتفي بالقول" ومرت سنتان" أو" وانقض زمن طويل"، ويتضح في هاذين المثالين أنّ القطع إمّا يكون محددا أو غير محدّد"[2].

ومن بين أمثلة الحذف المحدّد في هذه الرواية نجد:

"" والآن مرّ على تلك السهرة أكثر من ثماني سنوات"، حيث مات البعض ولم يبقى منّا سوى تسعة عشر شخصا"[3].

" مضى على العواصف أكثر من "ثمانية أشهر" ، لم نميّز فيها بيننا ليل والنّهار"[4].

---

[1] – عبد المنعم زكريا القاضي: البنية السردية في الرواية، ص.136.

[2] – حميد لحميداني: بنية النّص السردين ص.77.

[3] – الرواية: ص.66.

[4] – الرواية، ص.293.

" أمضيت أكثر من "شهرين" والصفاء لم يغب..."[1].

" كانت المرّة الأولى التّي نحتجز فيها لمدّة "ثلاثة أشهر" دون أن نرى فيها ولو للحظة واحدة المعالم الخارجية"[2].

"....مرّ على عودتنا أكثر من "شهرين" وفي الأسابيع الثلاثة الأولى كنّا ننتظر مهاجمتهم لنا...."[3].

فهنا قدر مدة الحذف بمدة محدودة معلومة فمثلا في المثال الأوّل قدّر الحذف بمدّة 8 سنوات، وفي المثال الثاني بمدّة 8 أشهر...'.

وكما وظّف الروائي في هذه الرواية الحذف المحدد، فهو قد وظف كذلك الحذف الغير المحدد، ومن أمثلة ذلك: نذكر:

قوله:" ومن بين الأمور التّي فكّرت فيها طيلة المدّة التّي مكثناها محتجزين داخل المغارة المناطق التّي سنبحث فيها عن المؤونة"[4].

"...قد صدّ منذ" مدّة طويلة" دلالة على أنّنا الآن قد أصبحنا تحت مستوى الثلوج"[5].

---

[1] – الرواية: ص.245.

[2] – الرواية: ص.149.

[3] – الرواية: ص.83.

[4] – أنظر: الرواية: ص.82.

[5] –أنظر الرواية: ص.82.

" لقد مضى وقت طويل على موت بروميثيوس فلماذا تأخرت في التلميح بحبي لها"[1].

وهنا قد أشار الراوي للحذف من دون تحددي مدته بدقة.

من كلّ ذلك نستخلص أنّ الروائي يستعمل الخلاصة والحذف من اجل التقليص من زمن القصة، حيث يسرد أحداثا استغرقت زمنا طويلا في اسطر قليلة أو بضع كلمات.

ب/ تبطئ السرد:

ننتقل الآن لمعالجة الصيغة المقابلة لتسريع السرد حيث يلجأ الراوي إلى توظيف تقنيات زمنية تؤدي إلى إبطاء وتعطيل وتيرة السرد، تتمثّل في المشهد(scène)، والوقفة(pause).

ب1/ السرد المشهدي: هنا زمن القصة يتساوى مع زمن الحكي أي أنّ السارد يقدّم أحداث الرواية متماشية مع الحجم الزمني الذي تستغرقه، ويحتل المشهد موقعا متميزا ضمن الحركة الزمنية للرواية، وذلك بفضل وظيفته الدرامية في السرد، وغالبا ما تشكّل المشاهد الحواية هذا النّوع، فالحوارية بين الشخصيات تشكّل المشهد أي تتبع الأحداث لحظة بلحظة[2].

وينقسم السرد المشهدي إلى نوعين هما:

---

[1] – انظر الرواية: ص.148.

[2] – بوعلام بطاطاش: الزمن الروائي، محاضرة في تحليل الخطاب الروائي، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 25 نوفمبر 2014.

ب1/1 الحوار الخارجي:

يتطلّب هذا النوع المشهدي شخصين أو أكثر لإدارة الحديث، حيث يفسح المجال للشخصية لإبداء رأيها وأفكارها وكذا تصوراتها للطرف الآخر.

والأستاذ الروائي بوعلام بطاطاش قد وظّف هذا النوع المشهدي في هذه الرواية ومن أمثلة ذلك نجد: الحوار الذي جرى بين الراوي وحبيبته افروديت عند لقائهما بعد فراق دام طويلا.

- إنّني لا احمل أسلحة معي ولم آت إليك كعدو بل كمسالم.
- أهذا أنتَ؟
- أفروديت؟
- نعم أأنت حي؟ إذن أنت حي.
- أين هم أفراد قبيلتك؟
- لقد ماتوا جميعا.
- أماتوا جميعا؟
- نعم ماتوا جميعا، إنّني اعترف بأنّك أحسن منّي، فأنت على الأقل حافظت على أفراد قبيلتك، أليس كذلك؟
- أتردين أن تقولي بأنّهم ماتوا جميعا؟...كلهم، لم يبق منهم إلا أنت؟
- نعم أنا آخر فرد في قبيلتي.

- حتّى بروميثيوس مات؟

- نعم ماتوا جميعا؟

- أفروديت أريد أن أعتذر عمّا بدر منّي...أنا اقصد عمي....

- لا تفكّر في هذا الأمر، إنّه بعيد جدا، لقد أبي في حقكم...

- لقد ظننت انّك تغيرت؟

- إنّني لم أتغيّر أبدا يا أفروديت، إنّني كما تعرفينني محب للسلم ومحب لكلّ ما يحقق السعادة ومحب لك أيضا.

- ماذا تقول؟

- نعم أنا أحبك وكلّ الوقت الذي أمضيته بعيدا عنك كنت أفكر فيك...

- لقد انتظرتك بدوري طويلا، ألا ترى أنّه قد فات الأوان؟

- كلا إنّني أريد أن أعوض عن كلّ الأوقات التّي ضاعت منّا.

- هل تعتقد بانّ ذلك ممكن؟

- نعم إنّه يمكن لمنا أن نستمتع بكلّ اللحظات المتبقية ما دامت قلوبنا تنبض...[1].

- ويقدّم لنا هذا المشهد حوار بين البطل وحبيبة طفولته أفروديت، ويكشف لنا هذا المقطع عن المعاناة التّي عاشها الاثنين، وعن تمسكهما بحبهما منذ الصغر، وذلك بالرغم من أنّهما كان بعيدين عن بعضهما البعض، وهذا النّوع من الحوار يسمى الحوار مع الغير.

---

[1] – أنظر الرواية: ص ص.265–266.

ب2/1 الحوار الداخلي (الذاتي):

إذا كان الحوار الخارجي يحتاج إلى طرفين لانجازه، فإنّ الحوار الداخلي يحدث بين الشخصية وذاتها، حيث يعتمد عليها السارد للكشف عن دواخل الشخصيات وما يعتريها من أفكار ومشاعر.

ومن أمثلة هذا النوع في رواية "مذكرات آخر إنسان على الأرض"

نجد حوار السارد مع نفسه.

- هل أعتبر نفسي الآن من الذين يعيشون؟
- هل نمطي في الحياة الآن يجسد وجودي على الأرض؟
- إنّ انحسار حياتي والشرب والنّوم يعادل في نظري اللاوجود، فباقي حيّا تماثل لعدمه، لذلك يجب أن أنشبت على الأقل بأمل يمكن له أن يتحقق أو لا يتحقق[1].
- كما نجد مثالا آخر يقول: فقلت في نفسي محذرا، يستحسن ل كان تنساها، فكري في رفيقتك وأصدقائك، لقد كنت سعيدا فاستمر في سعادتك ولا تهتم بها، هل تظن أن السّنوات الأربعة عشر غير كافية لأن تمحيك في ذاكرتها؟ إنّها على الأقل على مرتبط بستة رفييقات، فما هي صورتك في نظرتها إنسان يعشق جميع النّساء، أنّه ليس بالإنسان المخلص للحب الأوّل...[2].

---

[1] – أنظر: الرواية، ص.257.

[2] – أنظر: الرواية، ص.163.

وهنا الراوي يحاور نفسه، ويكشف لنا عن مدى حبّه لأفروديت، وفضوله الكبير لمعرفة ما إن كانت لا تزال تحبه هي أيضا.

وفي الأخير نقول أنّ الراوي يلجأ إلى توظيف "المشهد" من أجل خلق توافق بين الحكاية، وزمن الخطاب، وكذلك إمكانية إطلاع القارئ على أفكار الشخصيات.

- **ب2/ الوقفة الوصفية: pauses descriptives**

وفيما يقف زمن القصة يراوح مكانه، منتظرا فارغ الوصف من مهمته، فحسب جيرار جنيت:" كل حكي يتضمن أصنافا من التشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا، هذا من جهة ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو لأشخاص، وهذا ما ندعوه في يومنا هذا وصفا"[1].

والوصف يتضمن عادة انقطاع وتوقف السرد لفترة من الزمن، ولتوضيح هذه التقنية نستدل بأمثلة من الرواية وهي:

""...وللمغارة فتحة واحدة يبلغ عرضها حوالي أربعة أقدام بينما علوها فهو بالكاد يسمح لبرومثيوس الذي يعتبر أطولنا جميعا بالمرور مع انحناء ضعيف لرأسه، عندما ندخل منها يقابلنا جدار يدفعنا مباشرة إلى الدوران يسارا حيث نمشي في نفق صغير يمتدّ عدّة خطوات نعرج إثره على اليمين ونجد أنفسها في قاعة كبيرة مستطيلة الشكل وواسعة يتوسطها موقد كبير محاط من جميع أطرافه يقطع من الجلود السميكة والناعمة، تعتبر القاعة الرئيسية

[1] – حميد لحميداني: بنية النّص السردي، ص.78.

في المغارة وفيها نشعل الحطب... وبمحاذاة بابها من الجهة اليسرى نجد الأدوات التي نستعملها للدفاع عن أنفسنا، بالإضافة إلى أدوات كبيرة من الحطب، تقابلنا عند دخل القاعة فتحة أخرى بمثابة باب يؤدي بدوره إلى قاعة اقل مساحة من الأولى وهي قاعة دائرية الشك، أنام فيها مع رفيقاتي الستة...[1].

كما نجد أيضا وصفه لأنتيجوني رفيقة هايمون.

"...لقد تغيرت صورتها كثيرا، كانت من قبل تسحر النّاظر بعينيها الخضراوين وبشرتها البيضاء المحمرة المليئة بالنقاط السوداء التّي زادتها جمالا، وأنفها الصغير المائل في الأعلى والتناسب مع شفتيها الدقيقتين. وبشعرها الأصهب التّي تتدلى خصلاته على وجهها....[2].

ولاشك أنّ الوصف يقوم بتعطيل السرد حيث يترك هذا الأخير مكانه منتظرا فراغ السّرد من مهمته، وقد وصف لنا السارد في المثال الأول: المغارة التّي يعيشون فيها حيث اتبع خطة محكمة في الوصف، واستطاع فعلا أن يرّب لنا تلك الصورة لأنّه قدّم لنا أدق التفاصيل المتعلقة بالمكان. أمّا فيما يتعلّق بالمثال الثاني نجد أنّ السارد قدّم لنا وصفا تاما وشاملا لبعض ملامح شخصية من شخصيات روايته، حيث استطاع أن يقربنا أكثر من شخصية أنتجوني التّي وصفها.

---

[1] – الرواية: ص.25-26.

[2] – أنظر: الرواية، ص.107.

وتتحدّد وضائق الوقفة الوصفية في وظيفتين أساسيتين وهما:" الوظيفة التزيينية أو الجمالية، والوظيفة التوضيحية والتفسيرية[1].

أ/ الوظيفية التزيينية الجمالية: وهنا يستخدم الراوي الجانب التخيلي، أي وصف شيء وتزيينه وذلك لتبيان جماليته، فالجانب التخيلي يضفي شيئا من المتعة للقارئ، وكان الراوي يؤثّر على القارئ، وهذا الأخير يتمكّن من أن يصدق ما يقرأه[2].

ب/ الوظيفة التوضيحية أو التفسيرية:

وهي تعمل على غزالة الغموض على جوانب كثيرة عن الشخصيات، الأماكن، كما أنّها تأتي لتفسير حياة الشخصية الداخلية والخارجية[3].

نستخلص من هذه الرواية قد تتحقق فيها العناصر الأربعة من تلخيص وحذف، ومشهد ووقفة ووصفية، حيث اعتمد الكاتب في تسريع السرد على التلخيص والحذف، أمّا في تبطئ السرد فاعتمد على المشهد حيث كان هذا الأخير فرصة لنقل اللقاءات والحوار بين الشخوص كما حدث بدقة، كما اعتمد على الوقفة الوصفية التّي لم تكن تجميدا للزمن ووصفا للأشياء في حالة سكون، بل كانت نوعا من الوصف المتحرّك.

---

[1] – حميد لحميداني: بنية النّص السردي، ص.79.

[2] – بوعلام بطاطاش: الزمن الروائي، محاضرة في تحليل الخطاب الروائي، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 10 فيفري2015.

[3] – أنظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص.175.

خاتـــــــمة

إنّ كلّ ما ندعيه وهو إدعاء له وزنه، أنّ عنصر الزمن في القصة ذو أهمية كبيرة، وانّه غلى حد كبير يقرر للمؤلف اختياره لموضوعه في معالجته له، والطريقة التّي يشكل بها عنصر قصته ويرتبها، والطريقة التّي يستخدم بها اللغة للتعبير عن مفهومه للحياة ومعناها.

كما يمكننا القول أنّ البحث في الزمن، والكتابة فيه ليس بالأمر الهيّن، لاتصافه بعدم الثبات من ناحية وبعدم استقرار ودقة مصطلحاته من جهة أخرى. فعلى الباحث في البنيات الزمنية أن يضع نصب عينيه منذ البداية على جميع رصيده المعرفي حول هذا المفهوم، ويتسلح بكلّ ما يملك من مرجعيات معرفية وثقافية تؤهله إلى الخوض في مثل هذه السرديات، إضافة إلى تحليه بالصبر والحرص على حضور بديهيته باستمرار.

فقد حاولنا من خلال هذه الدراسة إبراز خصائص البنية الزمنية في "مذكرات آخر إنسان على الأرض" للروائي الجزائري" بوعلام بطاطاش"، وقد شملت دراستنا لعنصر الزمن في هذه الرواية بعدين: احدهما أفقي والآخر عمودي، تمثل البعد الأفقي في السرد الاستذكاري الذي هو عودة للوراء لاسترجاع فترة ماضية، والسرد الاستشرافي الذي يفيد التطلع غلى فترة مقبلة، أمّا البعد العمودي فيتعلّق ببطء السّرد أو سرعته، ففي حالة البطئ

تناولنا المشهد والوقفة الوصفية، وفي حالة التسريع تناولنا الخلاصة والحذف، ومن خلال ذلك تبيّن لنا ما يلي:

- هيمنة السّرد الأحادي من قبل السارد، وهو يكسب الرواية طابع السيرة الذاتية.
- استخدام الاستذكار كان أكثر من الاستشراف كون السارد في موقف استرجاع أحداث ماضية بكثرة.
- تحققت في الرواية العناصر التقنية لبناء الزمن السردي من تسريع وتبطيء للسرد.

ولم يتبقي لنا أن نقول أنّ هذه الرواية ما هي إلاّ معالجة حقيقية، حيث تمكن الأستاذ الروائي الجزائري" بوعلام بطاطاش" من رصد واقع المجتمع اليوم الذي يقوم باستغلال الثروات الباطنية والسطحية من دون التفكير في المستقبل، وقد اختار الروائي فكرة خيالية لعرض أحداثه، وتجمل هذه الفكرة على نتائج الاستغلال اللامعقول لخيرات اليوم من طرف الإنسان ومن دون تحقيق السعادة لا لنفسه ولا لغيره.

10-مها حسن قصراوي:الزمن في الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1 ،بيروت،2004 .

11-سعيد يقطين:تحليل الخطاب الروائي،(الزمن،السرد،التبئير)، المركز الثقافي العربي،للطباعة والنشر والتوزيع،ط3 ،بيروت،1997 .

12-صالح مفقودة:دراسات في الأدب الجزائري،اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1 ،2002 .

13-عبد الرزاق قسوم: مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986 .

14- عبد الغني مصطفي لبيب:نصوص واصطلاحات فلسفية عربية،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة.

15-عبد المالك مرتاض:في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد،ط2 ،الكويت،1987 .

16-عبد المنعم زكريا: البنية السردية في الرواية،ط1 ،2009 .

17-ليلى الشيخ:الواقعية عند نجيب محفوظ ، دار الفكر، القاهرة ، 1978.

18-محمد بشير بويجرة:بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، دار الغرب للنشر والتوزيع،ج1 ،2002 .

19-محمد بوعزة: تحليل النص السردي،الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 ،الرباط،2010 م.

20-مراد الرحمان مبروك:بناء الزمن في الرواية المعاصرة لدراسات أدبية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992 .

ب) الكتب الأجنبية (المترجمة)

1-أ،أ،مندلاو:الزمن والرواية، ترجمة بكر عباس،دار صادر ، ط1 ، بيروت، 1997 م.

2- اعترافات القديس أغستين: ترجمة الخوري بوجنا،المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1962 .

3-بول ريكول: الزمن والسرد والحبكة،ترجمة:سعيد غانم، دار الكتابة الجديدة المتحدة،ج1 ،2006 .

4-بارث رولان:مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة: منذر عياشى ،منشورات مركز الإنماء الحضاري ،ط1 ،1993 .

5-تودوروف تيزفتان:الشعرية، شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار بوقال للنشر،ط1 ،الدار البيضاء، المغرب، 1987 .

6-جنيت جيرار: خطاب الحكاية،ترجمة:محمد معتصم،المجلس اللأعلى للثقافة ،الرباط ،المغرب،ط2 ،1997 .ترجمة:محمد معتصم،المجلس اللأعلى للثقافة ،الرباط ،المغرب،ط2 ،1997 .ترجمة:محمد معتصم،المجلس اللأعلى للثقافة ،الرباط ،المغرب،ط2 ،1997 .

ج) المجلات

1-جودي فارس:دور الزمن في رواية "الصحن" للروائية الأردنية 1. سميحة خريش،مجلة دراسات أدبية ،دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ، العدد 9 ،فيفري 2011 م.

2-رابح الأطرش:مفهوم الزمن في الفكر والأدب،مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس ،سطيف،مارس2006 م.

د) الرسائل الجامعية والمحاضرات.

1-بطا طاش بوعلام :الزمن الروائي،محاظرة في تحليل الخطاب الروائي، جامعة عبد الرحمان ميرة ،بجاية،2014 -2015 م.

2-حسان راشدي:سيرورات الواقع ومسالك الكتابة الروائية،(مقارنة بنيوية) ،أطروحة دكتوراه ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2002 ،2003 م.

الفهرس

الفهرس

إهداء

مقدمة

مدخل.....1-2

الفصل الأول

ماهية الزمن :أنواعه وأهميته.

مفهوم الزمن.....5-21

أ-الزمن في التعريف اللغوي.....5-7

ب-الزمن في التعريف الاصطلاحي.....7-10

2-الزمن في القرآن الكريم.....11-14

3-الزمن عند النقاد والدارسين.....14-21

أ-مفهوم الزمن عند الدارسين العرب.....14-18

ب-مفهوم الزمن عند الدارسين الغرب.....19-21

4-أنواع الزمن.....21-26

أ-الزمن الفلسفي.....21-23

ب-الزمن التاريخي.....24-25

ج-الزمن الذاتي (النفسي).....25-26

5-الزمن في الدراسات البنيوية.....26-34
6-مستويات البنية الزمنية.....34-37

الفصل الثاني

-ملخص الرواية.....39-42
1-المفارقات الزمنية ودلالتها.....43-53
أ-السرد اللاسذكارى(أللاسترجاع).....45-53
أ1-الخارجي.....46-47
أ2-الداخلي.....47-49
ب-السرد اللاستشرافي(الاستباق).....49-53
2-تقنيات الزمن السردي.....53-65
أ-تسريع السرد.....54-59
أ1-الخلاصة.....55-56
أ2-الحذف.....56-58
ب-تبطئ السرد.....59-65
ب1-السرد ألمشهدي.....60-62
ب2-الوقفة الوصفية.....63-65
خاتمة.....66-67

قائمة المصادر والراجع.....68-71
الفهرس.....72-75